التبليغ

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني
الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: التبليغ

الطبعة الحديثة: ٢٠٠٤م / ١٤٢٥ هـ

At' tabligh

by: Hadhrat Mirza Ghulam Ahmad
The Founder of the Ahmadiyyah Muslim Jama'at

First published in UK in 2004

Published by:
Al Shirkatul Islamiyyah
"Islamabad"
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Tilford, Surrey GU10 2AQ

ISBN: 1 85372 772 5

الفهرس

كلمة الناشر

هذا الكتاب

لقد ألف سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كتابه "آئينة كمالات إسلام" (أي "مرآة كمالات الإسلام"، واسمه الآخر "دافع الوساوس") باللغة الأردية، إظهارًا لكمالات الإسلام وردًّا على وساوس القسوس وبراهمة الهندوس والملاحدة وبعض ضعاف المسلمين المنهزمين أمام الثقافة الغربية. فاقترح عليه صحابيه الجليل المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه أنه ربما يكون من المستحسن لو ضم حضرته إلى هذا الكتاب رسالةً موجّهةً إلى "المتصوفة" الغارقين في صنوف البدعات، والمعرضين عن تعاليم القرآن، والغافلين عن هذه الجماعة التي أقامها الله تعالى بيده. فاستحسن عليه السلام هذا الاقتراح، وقال بهذا الصدد ما تعريبه:

"كنت أنوي تأليف هذه الرسالة باللغة الأردية، ولكن تبين لي – بناء على بعض الإشارات الإلهامية التي تلقيتها البارحة – أن هذه الرسالة يجب تأليفها بالعربية. كما تلقيت إلهامًا بأن القوم لن يتأثروا منها إلا قليلاً، غير أن الحجة ستتم عليهم." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٤ ص ٣٦٠)

فألف حضرته عليه السلام هذا السفر العظيم وسماه "التبليغ" وضمّه إلى كتابه هذا (آئينة كمالات إسلام)، كما نشره على حدة أيضًا.

والمتصفح لهذا الكتاب سيجده قد صِيغَ بلغة عربية أصيلة عريقة تُظهر جليًّا مقدرة حضرته عليه السلام، وتبرز نقاء العين التي كان ينهل منها، ناهيك عما يفيض به الكتاب من معارف قرآنية فريدة وعلوم روحانية مبتكرة، وعاطفة جياشة تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وتأثُّرٍ بالغ لحالها المتردّي.

في مستهل الكتاب يخبر عليه السلام أن الله تعالى أقامه مجدِّدًا ومحدَّثا ومسيحًا موعودًا وناداه قائلا:

"واصنعِ الفُلك بأعيينا ووحينا، وأَنذِرْ فإنك من المأمورين"؛ وأخبره الله أن المسيح ابن مريم عليه السلام قد مات كغيره من الأنبياء.

ثم يخاطب المسلمين قائلا: "أيها الناسُ، اذْكُروا شأن المصطفى صلى الله عليه وسلم، واقرأوا كتب النصارى، وانظروا إلى صولتهم على عِرض سيد الورى. فلا تُطروا ابنَ مريم، ولا تعينوا النصارى، يا وُلدَ المسلمين. أَلِرَسُولنا الموتُ، والحياة لعيسى؟ تلك إذًا قسمةٌ ضيزى"!!

كما يسوق الأدلةَ على موت عيسى عليه السلام، موضحًا المرادَ من نزوله في الأمة المحمدية. ويبين أن الدجال هم قُسُس النصارى، وأن يأجوج ومأجوج هم الأمم الغربية.

ثم يردّ عليه السلام على المشائخ الذين سارعوا إلى تكفيره بسبب دعواه. ثم يندد بالمتصوفة الغارقين في بدعاتِ البراهمة، نابذين وراء ظهورهم القرآنَ والسنّةَ، ومتقاعسين عن الذود عن بيضة الملة.

كما يدعو مشائخ الهند إلى أن يكفّوا عن تكفيره وتفسيقه، أو يباهلوه، ليميز الله الصادقَ من الكاذب.

بعده يوجّه كلامه إلى العرب بنبرة رقيقة مليئة بالحب والتقدير، ويخاطبهم قائلا: يا أهلَ أرض النبوة، وجيرانَ بيت الله، وطليعةَ الإسلام، وحَمَلةَ القرآن، لا تصدِّقوا ما يفشي ويفتري مشايخُ الهند ضدي، بل انظروا في دعواي وأدلة صدقي بأمانة وتقوى الله، وبالتالي صدِّقوني وأيِّدوني غيرةً على الإسلام وعلى عِرض المصطفى ﷺ.

ثم يوضح لهم بأن الله لما رأى المتنصرين في هذا الزمن قد بالغوا في إيذاء رسول الله ﷺ واحتقاره، وأَطرَوا ابنَ مريم إطراء كبيرًا، اشتد غضبه، فخاطبه وقال: إني جاعلك المسيح، لكي يعلم هؤلاء الغُلاةُ أن عيسى ما تفرَّدَ كتفرُّد الله، وأنه ﷻ قادر على أن يجعل أحدًا من أمة نبيه المصطفى ﷺ عيسى آخر.

ثم يعرّف حضرته نفسه وعائلته، وظروفَ انتقالهم إلى قريتهم المسماة بـــ قاديان، بالهند.

كما يذكر حال المسلمين التعيسة بالهند في عهد السيخ الذين كانوا لا يسمحون للمسلمين بإقامة شعائر الإسلام، وأقلُّها رفعُ الأذان، وقاموا بتحويل المساجد إلى اصطبلات الخيول وحظائر الأبقار. ثم جاء الإنجليز، ونجُّوا المسلمين من ظلم السيخ.

ثم دعا الملكةَ البريطانية فكتوريا إلى الإسلام، وأشار عليها بأن تُكرم المسلمين فقال: "أَرْضِيهم فإنك وردتِ أرضَهم، وداريهم فإنك نزلتِ بدارهم، وآتاك الله مُلكَهم الذي أمروا فيه قريبًا من ألف سنة."

وبعدها يذكر كيف أُلقيَ في قلبه حب القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وكيف أُعطيَ معارف القرآن وحقائقه.

ثم يسجّل - الطَيْكِلا - بعض الرؤى والكشوف والأنباء الغيبية والإلهامات التي أنعم الله بها عليه، كما يذكر بعض أصحابه المخلصين. ويختم الكتاب بثلاث قصائد رائعة، في حمد الله ﷻ ومدح المصطفى ﷺ، وبيان حالة المشائخ المعارضين.

هذه الطبعة

لقد ألّف سيدنا أحمد الطَيْكِلا زهاء خمسة وعشرين كتابًا باللغة العربية، ولكنها لم تصدر على شكل كُتب منفصلة منذ فترة طويلة، وإنما نُشرت ضمنَ الطبعة المعروفة بـــ "الخزائن الروحانية" التي تشتمل على كل ما كتبه الطَيْكِلا بالعربية والفارسية والأردية. فأمر إمامنا الراحل سيدنا مرزا طاهر أحمد - رحمه الله - الخليفةُ الرابع لسيدنا أحمد الطَيْكِلا بإخراج الكتب العربية منها بصورة منفصلة.

ثمة أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد الطَيْكِلا عام ١٨٩٣م، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد الطَيْكِلا بنفسه، وكَتَبَ - عمومًا - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية *بالخط المائل*.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا

من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب التراث. ولربما كان المسيح الموعود عليه السلام قد استخدمها ليُظهر بعض ما حباه الله به من كنوز هذه اللغة المقدسة، إفحامًا للمشايخ الذين نعتوه بالجهل التام بهذه اللغة المباركة. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، وهو كثير، كقوله عليه السلام:

- يا أهل أرض النبوة وجيرانَ بيت الله العظمى (ص ٣٣) أي الكعبة العظمى.

- أجد قلبي مائلا إلى القرآن ودقائقها (ص ١٠٣) أي إلى صحيفة القرآن ودقائقها.

والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله تعالى:

- تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا (الكهف:٦٠)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمِ ظاهرِ اللفظ وحملُه على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص.... وقال الله عز وجل ﴿السماء منفطر به﴾ فذكّر السماءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف". (فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله عز وجل ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو

الجرم)" (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، الجزء الثاني، ص ١٠٢ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥).

ثانيًا: تخفيف الهمزة وقلبُها، وهو كثير جدًّا، كقوله عليه السلام:

– فنحن بريّون منها (ص ١٤) أي بريئون جمعُ بريءٍ.

– الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطون (ص ٨٨) أي لا يخطئون.

ولتخفيف الهمزة وقلبها أشكال وقواعد كثيرة في العربية (انظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، المجلد الثاني ص ١٢١ طبعة ١٩٩٤)

ثالثًا: ورود الأفعال النادرة الاستعمال، ومثاله قوله عليه السلام:

– "إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نوادر الأرض وأملأ بيوتكم منها..." (ص ٦٥)

ومثاله في التراث:

عن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبد الله يقول: من كظم غيظا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه. (الكافي، لثقة الإسلام الكليني، الجزء الثاني، كتاب الإيمان والكفر باب كظم الغيظ. دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هش)

رابعًا: دخول "ال" على العَلم، ومثاله قوله عليه السلام:

– أهذا الذي سُفك له دماءُ سراة العرب وعظائمِ القريش ببدرٍ (صفحة ١١٨).

ومن نظائره في التراث:

"... فبلغ رسولَ الله ﷺ أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن زمعة وسهيل بن عمرو قد جمعوا جماعة من القريش

والأحابيش بالخندمة، ليقاتلوا رسول الله ﷺ..." (ثقات ابن حيان، سنة ٨، دخوله مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الجزء الثاني صفحة ٤٩)

وأيضًا: "وأما الزبير بن عبد المطلب فكنيته أبو الطاهر، مِن أجلّة القريش وفرسانها..." (المرجع السابق، السنة العاشرة: أولاد عبد المطلب صفحة ١٣٥)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذه الأفاضل: مصطفى ثابت، موسى أسعد عودة، طه القزق، تميم أبو دقة، المرحوم موسى سرور نايف، سيد عبد الحي شاه، المرحوم مولانا عطاء الله كليم، مولانا جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، مولانا مبشر أحمد كاهلون، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر، جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

وأخيرًا، نبتهل إلى الله – جل شأنه – أن يجعل هذا السِّفْر المبارك سببا لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناشر

مقدمة

بقلم: حضرة مولانا جلال الدين شمس - رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود
بفضل الله ورحمته – هو الناصر

لم يتلقَّ سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام علومَ الدين أو الأدب العربي في أي معهد عالٍ أو كُتّاب معروف أو لدي عالم شهير، وإنما درس بعض الكتب العربية على يد معلّمين عاديين غير مميَّزين. ولقد بيّن عليه السلام في أحد كُتبه كيفيةَ تعليمه حيث قال إنه لما بلغ السادسة من عمره اختار له والدُه المحترم معلِّمًا اسمه "فضل إلهي"، فعلّمه قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الفارسية. وفي حدود العاشرة من عمره تتلمذ على معلِّم آخر اسمه المولوي "فضل أحمد"، فدرس عنده كتبًا أخرى وقسطًا ضئيلاً من قواعد النحو. وحينما بلغ عليه السلام السابعة عشرة استدعى له والدُه إلى قاديان شيخًا آخر هو المولوي "سيد گُل علي شاه البطالوي"، فدرس منه بعضًا من كتب النحو والمنطق والطب وغيرها من العلوم المتداولة

آنذاك. مكث المولوي سيد گـــل علي شاه في قاديان فترة من الزمن، ثم رجع إلى مدينته "بطالة" لبعض الأسباب. فاضطرّ حضرته عليه السلام أن يمكث مع أستاذه في "بطالة" فترة من الزمن أصبح خلالها المولوي محمد حسين البطالوي زميلا له في الدراسة.[∂] وقد أشار الأخير إلى ذلك في مجلته "إشاعة السنة" حيث قال:

"لا يوجد بين معاصرينا أحد هو أعلم منا بأحوال وأفكارِ مؤلِّفِ "البراهين الأحمدية". فوطننا واحد، بل كنا زميلَين في الدراسة منذ مقتبل العمر حين كنا ندرس معًا "القطبي" و"شرح الملا". ومنذ ذلك الحين لا تزال المراسلات واللقاءات مستمرّة بيننا إلى اليوم دون انقطاع."[•]

ويبدو أن سيدنا أحمد عليه السلام أيضًا أشار إلى الفترة ذاتها حين خاطبَ الشيخَ البطالوي قائلاً:

قطَعتَ وَدادًا قد غرَسناه في الصبا وليس فؤادي في الوداد يقصِّرُ[÷]

في تلك الحقبة من الزمن كانت مدينه "دلهي" تُعتبر أكبرَ مركز للعلوم الشرقية بالهند، حيث كان يقيم بها كبار العلماء المشاهير بمن فيهم الشيخ المولوي نذير حسين الدهلوي المعروف بـــ "شيخ الكل" والذي كان المولوي محمد حسين البطالوي يتباهى بكونه تلميذًا له. ولكن سيدنا أحمد عليه السلام لم يتلقَّ أيَّ تعليم من أيِّ معهد أو شيخ من

[∂] انظر كتاب البرية، الخزائن الروحانية مجلد ١٣ ص ١٧٩-١٨١ الهامش

[•] إشاعة السنة مجلد ٧ ص ١٦٩

[÷] البراهين الأحمدية.. الجزء الخامس، الخزائن الروحانية مجلد ٢١ ص ٣٣٥

هؤلاء، اللهم إلا النـــزر اليسير الذي تعلّمه على يد المعلّمين الثلاثة المذكورين سابقًا، أو ما درسه على يد والده المحترم من كُتب الطب. ولذلك ما كان لأحد أن يتصور أن حضرته قادر على تأليف كتاب أو إعداد مقال باللغة العربية، ناهيك عن كتابة مصنّفات ضخمة تفيض بالمعارف والحقائق بلسان عربي مبين، الأمر الذي حداً بالشيخ محمد حسين البطالوي وأمثاله لِيُشيعوا بين الناس ادّعاءهم ضد سيدنا أحمد الطَّيِّلا أنه جاهل بعلوم اللغة العربية.

والحق أنه لم يكن بإمكانه الطَّيِّلا - بالنظر إلى علمه الذي اكتسبه - أن يكتب مقالاً أو يعدّ كتيبًا أو يصنف كتابًا بلغة عربية فصيحة، ولكن ثقافته العربية كانت هبة إلهية أُعطيَها كمعجزة جعلته قادرًا على تأليف ما يربو على عشرين كتابًا ومقالاً بلسان عربي مبين، متحديًا بذلك المشائخَ المعارضين أن يأتوا بمثل ما أتى به فيأخذوا منه الجوائز بعشرات الآلاف، ولكن ما كان لأحد منهم أن يجرؤ على قبول هذا التحدي.

هبة إلهية محضة

ولقد أكّد سيدنا أحمد الطَّيِّلا بنفسه أنّ معرفته بالعربية هبة إلهية محضة، فقال ما نصُّه:

"إن كمالي في اللسان العربي، مع قلة جهدي وقصور طلبي، آيةٌ واضحة من ربي، لِيُظهر على الناس علمي وأدبي. فهل مِن مُعارض في

جموع المخالفين؟ وإني مع ذلك عُلِّمتُ أربعين ألفًا من اللغات العربية، وأُعطيتُ بسطةً كاملة في العلوم الأدبية." ∂

وصرح في مكان آخر بما تعريبه:

"لقد أُعطيتُ آيةَ الفصاحة والبلاغة بالعربية كظلٍّ لمعجزة القرآن الكريم. فلا أحدَ يستطيع أن يبارزني في هذا المضمار." ❶

ثم تحدث سيدنا أحمد عليه السلام عن التأييد الإلهي الذي تلقاه أثناء الكتابة فقال ما تعريبه:

"وجدير بالذكر هنا أنني ألاحظ أن التأييد الإلهي الإعجازي يحالفني أثناءَ التأليف والكتابة بشكل خاص، حيث أشعر لدى كتابة شيء بالعربية أو الأُردية كأن أحدًا من داخلي يعلّمني. وإن كتاباتي كلها، سواء العربية منها أو الأردية أو الفارسية، تتم كتابتها بطريقين اثنين: الأول: أن سلسلة من الألفاظ والمعاني تتراءى لي على التوالي بمنتهى السهولة فأكتبها. وبالرغم من أنني لا أتجشم أي مشقة وعناء في مثل هذه الكتابة، إلا أن تلك الكلمات والمفاهيم في واقع الأمر لا تفوق قوتي العقلية كثيرًا؛ بمعنى أنه ولو لم يرافقني التأييد الإلهي بشكل خاص فإنني أستطيع بفضل الله تعالى أن أكتبها ببذل شيءٍ من الجهد وكثيرٍ من الوقت، وذلك ببركة التأييد الإلهي العادي العام الذي هو جزء لا يتجزأ من خواص الفطرة الإنسانية، والله أعلم.

∂ أنجام آتهم، الخزائن الروحانية مجلد ١١ ص ٢٣٤

❶ ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية مجلد ١٣ ص٤٩٦

والقسم الثاني من كتاباتي يتم بطريق خارق للعادة كليةً. وذلك أنني حين أكتب شيئًا بالعربية مثلاً وأحتاج إلى بعض الكلمات التي يتطلبها السياق ولا أعرفها.. فإن الوحي الإلهي يهديني إليها، حيث يُلقي روحُ القدس تلك الكلمةَ في قلبي على شكل وحي متلوٍّ، ويُجريها على لساني وأنا في حالة غيبوبة. وعلى سبيل المثال، احتجتُ أثناء الكتابة بالعربية إلى ما يعني "كَثرة العيال" و لم أعرف تلك الكلمة، وكان السياق يتطلبها، فأُلقيَ في قلبي فورًا لفظُ "الضَفَف" على صورة وحي متلوٍّ. كذلك احتجتُ أثناء الكتابة مثلاً إلى ما يؤدّي معنى "لزوم الصمت غمًّا وغضبًا" ولم أعرف الكلمة العربية، فتلقّى قلبي وحيًا يقول: "الوجوم". ونفس الحال بالنسبة للجُمل العربية، فأثناء الكتابة بالعربية تَرِدُ على قلبي مئاتُ الجُمل على شكل وحي متلوٍّ، أو يُرينيها مَلاكٌ مكتوبةً على ورقة؛ وتكون بعض تلك الجمل آياتٍ من القرآن الكريم، وبعضها شبهَ آيات مع شيء من التصرف. وفي بعض الأحيان أعرف فيما بعد أن الجملة الفلانية التي كانت قد أُلقيت علي من عند الله تعالى كوحي متلوٍّ توجد أيضًا في كتاب كذا. وبما أن الله تعالى هو مالكُ كل شيء فله الخيار كله أن يُنــزل على قلبي على سبيل الوحي جملةً رائعةً أو شعرًا جميلاً سبق أن ورد أيضًا في أحد الكتب أو الدواوين."[ϑ]

[ϑ] نزول المسيح، الخزائن الروحانية مجلد ١٨ ص ٤٣٤- ٤٣٥

وهذا يؤكّد أن ما ألّفه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام باللغة العربية الفصيحة البليغة إنما ألّفه بتأييد إلهي، وليس بناءً على علم مكتسَب. ومن أجل ذلك نجد العلماء المعارضين يتحاشَون – من جهة – نزالَه حين تحدّاهم أن يأتوا بمثل ما أتى به من كتب ومقالات، ومن جهة أخرى راحوا يثيرون ضد كُتبه الاعتراضات السخيفة....

ولنعم ما ردّ به سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام على مثل هذه المزاعم حيث قال ما تعريبه:

"لقد طعَن بعض الجهال حتى في القرآن الكريم معتمدين على قواعد نحوهم الزائف، ولكن كل هذه المطاعن سخيفة للغاية. والحق أن لا أحد سوى الله تعالى يملك علمَ اللغة الواسعَ. وإن اللغة كما تتغير إلى حد ما باختلاف المكان فإنها تتغير كذلك بتغير الزمان. فلو نظرنا إلى اللهجات العربية السائدة اليوم في مصر ومكة والمدينة وبلاد الشام وغيرها لوجدنا أنها تقضي على قواعد الصرف والنحو بأسرها، ومن الممكن أن تكون مثل هذه اللهجات موجودة من قبل أيضًا في زمن من الأزمان....

والحق أن لسان العرب – الذي هو المفتاح الحقيقي للصرف والنحو– هو محيط لا شاطئ له، ويصدُقُ عليه تمامًا ما قاله الإمام الشافعي رحمة الله عليه في مقولته الشهيرة: "لا يعلمه إلا نبي".. أي من المستحيل لأي إنسان أن يحيط بتلك اللغة على شتى لهجاتها وأساليبها بشكل كامل إلا نبي.

إذن فهذه المقولة أيضًا تؤكّد أنه ليس بوسع كل من هبَّ ودبَّ أن يمتلك ناصية هذه اللغة من كافة النواحي، بل الإحاطة الكاملة بها إنما هي من معجزات الأنبياء عليهم السلام." [ϑ]

كما يقول حضرته عليه السلام:

"أيها الأغبياء، لو كان بإمكان الإنسان تأليف كتب علمية دينية مليئة بآلاف المعارف والحقائق بمجرد سرقة عبارات من الروايات الخيالية، فما الذي منعكم من اللجوء إلى هذا الأمر طوال هذه الفترة؟ ألا تجدون مثل هذه الكتب في الأسواق حتى تسرقوا الجُمل منها؟ لماذا لزمتم الصمت على اللعنات التي دعونا بها عليكم في حالة عدم قبولكم التحدي؟ ولماذا فقدتم القدرة على كتابة التفسير بلغة عربية فصيحة بليغة ولو لسورة واحدة، حتى تطّلع الدنيا على مبلغ علمكم بالعربية. لو كانت نيتكم حسنة لجلستم حذائي في أحد المجالس لكتابة التفسير، لكي يسودّ في الحال وجهُ الكاذب العديم الحياء. ولكن، لا بأس، فليست كل الدنيا بعمياء، بل لا يزال فيها أولو الألباب.

لقد أعلنّا مرارًا وتكرارًا أن تعالَوا نبارزْ في مجال تأليف كتيب بالعربية، ثم نحتكم إلى علماء العربية، فلو ثبت أن كتيبكم هو الأفصح والأبلغ فإن دعواي ستُعتبر باطلةً تمامًا. وها إني أقرّ وأعترف الآن أيضًا أنكم لو نازلتموني في ميدان كتابة التفسير بالعربية، ثم ثبت أن تفسيركم هو الأفضل والأعلى لفظًا ومعنًى، فسوف أعطيكم خمس

[ϑ] نزول المسيح، الخزائن الروحانية مجلد ١٨ ص ٤٣٦- ٤٣٧.

روبيات على كل غلطة تعثرون عليها في تفسيري. فالأولى بكم – قبل أن تطيلوا عليّ ألسنتكم بالمطاعن السخيفة هكذا – أن تُثبتوا علوَّ كعبكم في العربية بكتابة التفسير العربي. ذلك أن الذي لا يكون ضليعًا بفن من الفنون فإن طعنه على رجالات ذلك الفن لا يستحق الاعتبار أبدًا ...

ويعرف الأدباء أن ورود بضع جُمل مقتبَسة في كتاب يحوي آلاف الجمل والفقرات لا يقدح في قوته البلاغية أبدًا، بل إن مثل هذا الاقتباس يزيده قوةً وبلاغة. انظروا إلى التوارد المتواجد في شطر بيت واحد لدى اثنين من أصحاب المعلقات السبع:

حيث يقول أحدهما: يقولون لا تَهلَكْ أسًى وتَجمَّلِ
بينما يقول الآخر: يقولون لا تَهلَكْ أسًى وتَجلَّدِ
فبالله، أخبروني الآن أيهما سارق.

إن الجاهل لو سُمح له أن يكتب ولو بسرقة من كلام الآخرين فلن يقدر على كتابة شيء، لأنه محروم أصلاً من المقدرة الأساسية. أما الموهوب القادر على الكتابة المسترسلة دون أية صعوبة إذا كتب المواضيع العلمية الحكيمة المتضمنة على شتى المعارف والحقائق دونما عائق وفي عبارة بليغة مليحة، وإنْ اقتبس في كلامه وفي المحل المناسب آلافَ الجمل مما ورد في كتب الآخرين، فلا بد من اعتبار كلامه أمرًا معجزًا دونما شك." [ϑ]

[ϑ] نزول المسيح، الخزائن الروحانية مجلد ١٨ ص ٤٤٠-٤٤٣

ويقول سيدنا أحمد ؑ ما تعريبه:

"إن معظم العائبين المستعجلين، وبالأخص الشيخ محمد حسين البطالوي، الذين لا يتصفحون كُتبنا العربية إلا بحثًا عن الأخطاء فيها، يعُدّون – بسبب ظلمة التعصب فيهم – سهوَ الناسخ أيضًا ضمن قائمة الأغلاط. ولكن الحق أنه لا يمكن أن يُعزى إلينا من الأغلاط الصرفية والنحوية إلا ما لم يرِد صحيحُه في موضع آخر من كتبنا. أما إذا وردت كلمة أو تعبير ما في مكان ما خطأً على طريق الصدفة بينما تكون تلك الكلمة نفسها قد وردت في عشرات الأماكن الأخرى بصورتها الصحيحة.. فلا مناص لهم – لو كان فيهم شيء من الإيمان والإنصاف – إلا أن يعزوا ذلك الخطأ إلى سهو الناسخ بدلاً من أن يعتبروه غلطًا منا. ولو أنهم أخذوا بعين الاعتبار العجلةَ التي ألّفنا فيها هذه الكتب لاعترفوا باقترافهم ظلمًا عظيمًا، ولعدُّوها تأليفاتٍ خارقةً للعادة.

الحق إن القرآن الكريم وحده منــزَّهٌ من السهو والخطأ، وأما البشر فلم يسلم كلام أحد منهم من هذا العيب، حتى إن السيد البطالوي نفسه يعترف بأن الناس استخرجوا أغلاطًا حتى من شعر امرئ القيس وكلام الحريري. فهل يمكن لهذا الذي عثر صدفةً على خطأٍ للحريري أو امرئ القيس أن يُعَدَّ بمكانتهما؟" [ϑ]

(نقلاً عن الطبعة المعروفة بــ "الخزائن الروحانية"
مجلد ٧ المقدمة ص ٧-٢٢ عام ١٩٥٩م
مع شيء من التصرف لدى الترجمة)

[ϑ] سرُّ الخلافة.. صفحة الغلاف الداخلية، الخزائن الروحانية مجلد ٨ ص ٣١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مشايخ الهند ومتصوفة أفغانستان ومصر وغيرها من الممالك

الحمد لله الذي غلبت رحمته على غضبه في كل ما فعل وقضى، وسبقت أنواره على كُل ليل اكْفَهَرَّ وسجى. هو الله الذي يأتي منه فوج اليسر مع كُلّ عسرٍ عرا. يدعـــو إلى رحمته كل ورقٍ يوجدُ على الأشجار، وكل برقٍ يبرق في الأحجار، وكُل اختلافٍ ترون في الليل والنهار، وكل ما في الأرض والسماء.

ومن آيات رحمته أنه أرسل الرسل، وبعث النُّذُرَ، وأسّس عماراتِ الهدى. ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القُرى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمى، فرفع الظلمات كلها، ووضع سراجًا منيرا أمام كل عين ترى. ما عندنا لفــظٌ نشكر به على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائمين الكَرى. تلقى كلّ هَمٍّ وغمٍّ للدين بطيب النفس لما انبرى، وسنَّ بذلَ النفسِ لله لكل من يطلب المولى. فنى في الله.. وسعى لله.. ودعا إلى الله..

وطهّرَ الأرض حق طهارتها، فيا عجبا للفتى! رب.. اجْزِ منا هذا الرسولَ الكريم خير ما تجزي أحدا من الورى. وتَوفَّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُقْيا. واجعله لنا الشفيع المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآوِنا هذا الــذَّرى. رَبِّ.. يا ربِّ.. صَلِّ وسلّم وبارك على ذلك النبي الرؤوف الرحيم، وعلى كُل من أحبه وأطاع أمره واتبع الهدى.

أمّا بعد.. فاعلموا أيها الفقراء والزهاد.. ومشائخَ الهند وغيرها من البلاد.. الذين وقعوا في البدعات والفساد، أنني اُمرت أن أبلغكم أحكام الدين، وأذكّركم ما نسيتم من أسرار الشرع المتين. وقد ألهمني ربي في أمركم وقال: إنهم ينادَون من مكان بعيد. ويفعل ربي ما يشاء، وهو القاهر فوق القاهرين.

يا قوم.. اتقوا الله.. ولا تتبعوا أهواء قوم مبتدعين، واتّبعوا الرسول النبيّ الأمي الذي هو رحمة للعالمين. واعلموا.. يا إخوان.. أني أُرسلت محدَّثا من الله إليكم، وإلى كل من في الأرض، فاتقوه ولا تحتقروا المرسلين. واجتنبوا الرجس من البدعات، وإياكم والمحدَثاتِ، وكونوا عباد الله الصالحين.

يا قوم.. إنّي عبد الله.. مَنّ عليّ برحمة من عنده، وعلّمني من لدنه عــلم الأولين. وأَرْسلني على رأس هذه المائة، لأنذر قومًا ما أنذر

آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. هو ناداني وقال قل لعبادي: إنني أمرت وأنا أوّل المؤمنين. وسماني باسم يناسب اسم قوم.. أرسلت لإفحامهم وإلزامهم.. وهم قوم المتنصّرين، الذين علَوا في الأرض، واستضعفوا أهل الحق، وزينوا الباطل ليدحضوا به الحق، وكانوا قومًا مسرفين. وأهلكوا كثيرًا من الناس بتلبيساتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وقلّبوا للإسلام أمورًا، وجذبوا الناس إلى خزعبلاتهم، وجاءوا بسحر مبين. فنظر الله إلى قلوبهم، فوجدهم غالين دجالين ضالين مضلين. قد أفسدوا طرقهم كلها، وبغوا أمام الرب، وأرادوا أن يفسدوا أقوامًا آخرين. يلحَسون المذاهب كما يلحَس الثور خضرة الحقل، ويريدون علوًّا وفسادا، وليسوا من الخاشعين. فتَن الناسَ فهمُهم ودرايتهم، وكبُر سرّ غوايتهم، وكانوا في علوم الدنيا وصنائعها من المستبصرين. أوقدوا من المفاسد نارًا، وأجرَوا من الفتن أنهارًا، ومكروا مكرًا كُبَّارًا، وبلغوا مقدارًا لن تجدوا مثله في مكائد المتقدمين. أجمعوا همتهم لاستيصال الإسلام، واستدرّوا لقحتهم لتأليف قلوب اللئام، وأدخلوا أيديهم في قلوب المسلمين. وكان العلماء كمفلس في أعين أعيانهم، أو كمضغة تحت أسنانهم، وكان قومنا سُخْرة المستهزئين. فأراد الله أن يفصل بين النور والظلمة، ويحكُم بين الرجس والقدس، ويمن على المستضعفين. ورأى فتنتهم بلاءً عظيمًا على الإسلام، ورأى أيّامهم كليالٍ مخوفةٍ

من الإظلام، ووجدهم في الفتن قومًا عالين. ما كان فتنة مثل هذا مـــن يوم خلق آدم إلى يومنا هذا.. بل إلى يوم الدين. ومع ذلك تملكوا وعلوا في الأرض، وأثمروا وأكثروا، وأملأوا الأرض كثرة، وزادوا هيـــبة وشوكة، وبارك الله في أموالهم وأولادهم، وعلومهم وفـــنونهم وصنائعهم، وأعانَهم في إراداتهم وأفكارهم وأنظارهم، وفـــتح عليهم أبواب كُلّ شيء.. ابتلاءً من عنده.. فعمُوا وصمّوا وكانوا من الـــمُعْجبين.

وأزاغ الله قلوب علمائنا وفقرائنا، وأطفأ نور قلوبهم حتى عادوا إلى الجهالة التي أُخرجوا منها بما كانوا يفسدون في الأرض، وما كانوا من المصلحين. ففنوا في الأهواء، واستكانوا في الآراء، ووهنوا وكسلوا، وذرّت ريح الجهل ترابهم، وسُلبت قواهم كلّها فصاروا كالميّتين.

ونظر الربّ إلى أمرائنا فوجدهم المسرفين الغافلين، المعرضين عن التقوى والحق، والظالمين العادين. فباعد بينهم وبين شهواتهم، وباعدهم عن الأملاك التي ارتبطت قلوبهم بها، وأخرج من أيديهم أكثر أملاكهم وأراضيهم، وتبّر كلّ ما كانوا عليها كالعاكفين. وقشفت الوجوه من آفات الجوع والبؤس، وخمدت نار المتموّلين، وقُصِمَتْ عظامهم، وحُطِمَتْ سهامهم، ليعلموا لِيامُهم أنّهم كانوا من المتمرّدين.

وأحاطت شصية المتنصّرين وشَرَكُ سُراتِهم مِن سَمَكِ البحر إلى سماك السماء، وجرت فُلْكُهم في بحر الإضلال مواخرَ، ووقعت رَجْفةٌ من عظمة شأهم على كُلّ ما في الأرض.. فخرّوا لهم ساجدين. وما بقي من عشّ ولا كنّ ولا وكر إلا دخلت فيه أيدي الصيادين. ونقلوا خُطواتهم إلى الاعتداء.. حتى نظروا في صحف الرسل ففسّروها برأيهم، وزادوا فيها أشياء، ونقصوا منها، كأنّهم الأنبياء ومن المرسلين. ثم مالوا إلى ملكوت الله وأفعال الألوهية.. فدخلوا في أمور ما كان لهم أن يدخلوا فيها، وفرحوا بتدابيرهم، وحسبوا أنفسهم قادرين على كل شيء كأنهم إله العالمين. واستغنوا وعتَوا عتوًّا كبيرًا، وقطعوا بكبرهم وكفرهم وأنانيتهم آذانَ دهريّين. فهذا هو المراد من ادّعاء النبوّة وادعاء الألوهية، فليفهم من كان من الفَهِمين. وفسدت الأرض بفسادهم، وسارع الناس إلى زينتهم ورشادهم ولمعان فِرْصادهم، وثريدهم وجنّتهم وآرادهم، إلا ما شاء الله.. يحفظ من يشاء.. وهو خير الحافظين. وهاج طوفان عظيم على أعمال الناس وعقائدهم، وطهارتهم وتقواهم، ونيّاتهم وخطراتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وأبصارهم وآذانهم، ودينهم وإيمانهم، وأخلاقهم وسنن إحسانهم، ومروّتهم ورَثاثهم، وأبنائهم وإخوانهم، وبناتهم ونسوانهم، وزهدهم وعرفانهم، وأيديهم ولسانهم، وهبّت ريح الفساد من كل

طرف، وأحاطت الظلمة على كلّ جهة، وزلزلت الخلق زلزالا شديدًا، وطارت حواسهم، وكانوا كالمبهوتين. وكانوا لا يدرون أَعذابٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رحما، وكانوا لِسرّ الغيب منتظرين. وانشقت فُلْكُهم في بحر الزيغان، وهاجت الأمواج من كل طرف، وكادوا أن يكونوا من المغرقين.

فناداني ربّي من السماء.. أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وقم وأنـــذر فإنّك من المأمورين، لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين ســـبيل المجرمين. إنا جعلناك المسيح بن مريم، لأتِمّ حجّتي على قوم متنصّـــرين. قـــل هذا فضل ربّي، وإنّي أجرِّد نفسي من ضروب الخطـــاب، وأمـــرتُ من الله وأنا أوّل المؤمنين. إنه يرى الأوقات ويعلم مصالحها، وإن من شيء إلا عنده خزائنه. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول لـــه كن فيكون. قل أتعجبون من فعل الله؟ قل هو الله أعجـــب العجيبين! يرفع من يشاء، ويضع من يشاء، ويُعزّ من يشـــاء، ويذل من يشاء، ويجتبي إليه من يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وهم من المسئولين. قل الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأعطاني مـــا لم يعـــط أحـــد من العالمين. وقالوا كتابٌ ممتلئ من الكفر والكـــذب. قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. وادع عبادي إلى الحق، وبشّرهم بأيّام الله، وادعهم إلى كتاب مبين. إن

الذيـــن يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، والله معهم حيـــثما كـــانوا.. إن كانوا في بيعتهم من الصادقين. قل إن كنتم تحـــبون الله فاتّـــبعوني يحببكم الله، ويجعل لكم نورًا، ويجعل لكم فـــرقانًا، ويجعلكم من المنصورين. إن الله مع الذين اتقَوا، وإن الله مع المحسنين.

هذا ما ألهمني ربّي.. في وقتي هذا ومن قبل.. ينعم على من يشاء وهو خير المنعمين. وإنّ له عبادًا من الأولياء يسمّون في السماء تسمية الأنبياء بما كانوا يشابهونهم في جوهرهم وطبعهم، وبما كانوا يأخذون نورًا من أنوارهم، وكانوا على خُلقهم مخلوقين. فيجعلهم الله وارثهم، ويدعوهم بأسماء مورثيهم، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين. وللأرواح مناسبات بالأرواح لا يُدْرى دقائقها، فالذين تناسبوا يُعَدّون كنفس واحدة، ويطلق أسماء بعضهم على بعض، وكذلك جرت سنة الله، وذلك أمرٌ لا يخفى على العارفين. إن الله وتر يحب الوتر، ولأجل ذلك قد استمرت سنّته أنه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء، فمن بعث على قدم نبيّ يسمّى في الملأ الأعلى باسم ذلك النبي الأمين، ويُنـــزل الله عليه سرَّ روحه، وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته، وشأن شمائله، ويوحّد جوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، واسمه باسمه، ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، وأغراضه

في أغراضه، ويجعلهما كالمــرايا المتقابلة في الإنارة والاستنارة، كأنّهما شيءٌ واحدٌ.. وذلك سرّ التوحيد في أرواح الطيّبين. فهذا هو السرّ الذي سمّاني الله برعايته **المسيح الموعود،** فتفكروا في السرّ ولا تكونوا من المستعجلين. ما كان الله أن يرسل نبيًا بعد نبيّنا **خاتم النبيّين،** وما كان أن يُحدث سلسلة النبوة ثانيًا بعد انقطاعها، وينسخ بعض أحكام القرآن، ويزيد عليها، ويُخلف وعده، وينسى إكماله الفرقان، ويُحدث الفتن في الدين المتين.

ألا تقرؤون في أحاديث المصطفى.. سلّم الله عليه وصلّى.. أن المسيح يكون أحدًا من أمته، ويتبع جميع أحكام ملّته، ويصلّي مع المصلّين. وقد ملئ القرآن من آياتٍ تشهد كلها على أن المسيح ابن مريم قد تُوفِّي، ولحق بإخوانه إبراهيم وموسى، وأخبر بوفاته رسول الله ﷺ وهو أصدق الــمخبرين. ألا تقرؤون في القرآن: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾،[1] ﴿فلمّا توفيتني﴾؟[2] ألا تقرؤون: ﴿ما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾؟[3] ألا تقرؤون في صحيح الإمام البخاري: متوفيك: مُميتك؟ فما بقي بعد هذه الشهادات محل شك للمشككين. وبأيّ حديث تؤمنون بعد آيات رب العالمين؟ ألا ترون أنه ﷺ قال في علامات المسيح وفي بيان

[1] *سورة آل عمران:٥٦.* [2] *سورة المائدة:١١٨.* [3] *سورة آل عمران:١٤٥.*

وقت ظهوره إنه يكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير؟ فاعلموا أنّه ﷺ أشار إلى أنه يأتي في وقت يُعبَد الصليب فيه، ويؤكل الخنـــزير بكثرة، ويكون لعبدة الصليب غلبة في الأرضين. فيأتي ويكسر غلبتهم، ويدقّ صليبهم، ويهدم عماراتِهم، ويخرّب مرتفعاهم بالحجج والبراهين.

أيها الناس**!** اذكروا شأن المصطفى.. عليه سلام رب السماوات العلى.. واقرؤوا كتب المتنصّرين، وانظروا صولتهم على عرض سيد الورى، فلا تُطرُوا ابن مريم، ولا تعينوا النصارى يا وُلْدَ المسلمين. ألرسولنا الموت والحياة لعيسى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! ما لكم لا ترجون وقارًا لسيّد السيّدين؟ أتجادلونني بأحاديث ورد فيها أن المسيح سينـــزل، وتنسون أحاديث أخرى، وتأخذون شقا وتتركون شقا آخر، وتذرون طريق المحققين؟ ولا يغرّنكم اسم "ابن مريم" في أقوال خير الورى، إن هو إلا فتنة من الله ليعلم المصيبين منكم وليعلم المخطين، وليجزي الله الصابرين الظانين بأنفسهم ظن الخير، ويجعل الرجس على المعتدين. وقد خلت سننه كمثل هذا، فليتفتش من كان من المتفتّشين.

لقد كان في **إيليا** وقصة نزوله نظيرٌ شافٍ للطالبين. فاقرؤوا الإنجيل وتدبّروا في آياته بنظرٍ عميقٍ أمين. إذ قالت اليهود: يا عيسى.. كيف تزعم أنّك أنت المسيح.. وقد وجب أن يأتي إيليا

قبله كما ورد في صحف النبيّين؟ قال: قد جاءكم إيليا فلم تعرفوه، وأشار إلى **يحيى** وقال: هذا هو إيليا إن كنتم موقنين. قالوا: إنك أنت مُفتر.. أتنحتُ معنى منكرًا؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. قال: يا قوم.. ما افتريتُ على الله، لكنكم لا تفهمون أسرار كتب المرسلين.

تلك قضيةٌ قضاها عيسى نبي الله، وفي ذلك عبرة للمسلمين. ما كان نزول بشرٍ من السماء من سنن الله، وإن كان فأتوا بنظير من قرون خالية إن كنتم من المهتدين. وما كان فينا من واقع إلا خلا لـــه نظير من قبل، وإليه أشار الله وهو أصدق الصادقين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾.[∂] وقد مضت سنة الأوّلين. خصمان تخالفا في رأيهما.. فأحدهما متمسك بنظير مثله، والآخر لا نظير عنده أصلا.. فأي الخصيمَين أقرب إلى الصدق؟ انظروا بأعين المنـــصفين.

يا أيها الناس، التُّقى التُّقى.. النُّهى النُّهى.. ولا تتبعوا أهواء فيج أعوج، واذكروا ما قال المصطفى. لقد جئتكم حكمًا عدلا للقضايا وجب فصلها، فاقبلوا شهادتي، إني أوتيت علمًا ما لم تؤتوه وما يؤتى. وإن كنتم في شك من أمري فتعالوا ليفتح الله بيننا وبينكم، وهو الرب الأقدر الأقوى. إنه مع الصادقين.. يسمع

[∂] *سورة الأحزاب: ٦٣*

ويرى. وبشرني في وقتي هذا، وقال: يا عيسى سأُريك آياتي الكبرى. فأيّ نهج الفصل أهدى من هذا إن كنتم تطلبون الهُدى؟ وقد جئت حين سجَى الدجى، وغابت الحق من الوَجى، وكانت تلك الأيّام أيّام الوباء. قد هلكت فيه أمم كثيرة، وكان الإسلام نضْوَ سُرًى، ما كان لــه من موئل ومأوى، كخابط ليلة ليلاءَ، وكان الطالبون كذي مجاعة جَوِي الحشا، مشتمل على الطَّوى. فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى. فنهضتُ ملبّيا للنداء، فأنبأني ربّي مما سيأتي وما مضى. وصافاني ونجّاني من كل هم وبلاء، وبشرني بغلبتي على كل من خالف وأبى. وأوحى إليّ بأنني غالبٌ على كل خصيم أعمى. وقال: إني مهين من أراد إهانتك، وأحسنَ إلي بآلاء لا تعد ولا تحصى. وقال: إني معك حيثما كنتَ، وإنّني ناصرك، وإنّني بُدُّك اللازم وعَضُدُك الأقوى. وأمرني أن أدعو الخلق إلى الفرقان ودين خير الورى، الذي سن التبليغ وحث على الجهد وحمل الأذى. لستُ بنبيّ، ولكن محدَّث الله وكليم الله لأجدد دين المصطفى. وقد بعثني على رأس المائة، وعلّمني من لدنه علوم الهدى. وإن كنتم تشكون في أمري، وتحسبون أنكم على حق في مخالفتي، وتظنون قربتكم أعظم من قربتي، فها أنا قائم في موطن المقابلة لرؤية آيات صدقكم وإراءة برهاني على الاصطفاء. وأعزم عليكم بالله الذي هو خالق الأرض والسماء، أن لا تمهلوني طرفة

عين، وجاهدوا لهزيمتي حق جهادكم، واستفتحوا لأنفسكم من الله الأعلى. وحرام عليكم أن تتقاعسوا وتستأخروا ولا تبرزوا في مكان سُوى. واجتمعوا عليّ كلكم وارمُوا كل سهام من قوس واحد، فستعلمون من هلك ومن حفظه الله تعالى وأبقى. وإن تقبلوني فالله يبارككم، ويجعلكم مثمرين مباركين آمنين، ويردّ إليكم أيّامكم الأولى، وتسكنون في أمان الله، ويتوب إليكم ربكم ويرضى، وكل سوء يتحوّل عنكم ويتناهى.

يا قوم، إنّي لستُ كافرًا كما يفشي ويفتري عليّ علماء السوء، وما افتريت شيئًا على ربّي، وما أقول لكم من عند نفسي، وقد خاب من افترى. وإني أعتقد من صميم قلبي أنّ للعالم صانعًا قديمًا واحدًا قادرًا كريمًا مقتدرًا على كل ما ظهر واختفى.

وأعتقد أنّ لله ملائكةً مقربين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينـــزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنـــزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى، لأن في نزول الإنسان تحولا من المكان، ورائحةً من شِقّ الأنفس واللغوب، ولا يمسّهم لغبٌ ولا شقّ، ولا يتطرّق إليهم تغيّر، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى، بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا، لأن الله أدخل وجودهم في الإيمانيات،

وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾،[1] فآمنوا بنـــزولهم وصعودهم ولا تدخلوا في كنههما، ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين والساجدين والصافّين والمسبحين والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكّة، وخصّهم بها؛ فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم، ويذروا تسبيحهم وتقديسهم، ويتنـــزّلوا من مقاماتهم، ويهبطوا الأرض، ويُخلوا السماوات العُلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينـــزل إلى السماء في آخر كل ليل، ولا يقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقات أخرى، فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم، كمثل انصباغ الظلّ بصبغة أصله، لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نشبّه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد منعنا الله من هذا وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، فاتقوا الله يا أرباب النُهى.

ونعتقد..كما كشف الله علينا.. أن عيسى ابن مريم قد تُوفِّي ولحق بإخوانه النبيّين الصالحين، ورفع إلى مكان كان فيه يحيى.

[1] سورة المدثر: ٣٢

ونعتقد أن رسولنا خير الرسل، وأفضل المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل من كل من يأتي وخلا. هو سلكني بنفسه المباركة، وربّاني بيده الطاهرة الـــمُطهرة، وأراني عظمته وملكوته، وعرّفني بأسراره العُليا.

ونعتقد أن كل آية القرآن بحر موّاج، مملوّ من دقائق الهدى. وباطل ما يعارضه ويخالف بيانه من قصصٍ وعلوم الدنيا والعقبى.

ونعتقد أن الجنّة حق، والنار حق، وحشر الأجساد حق، ومعجزات الأنبياء حق.

ونعتقد أن النجاة في الإسلام واتباع نبينا سيّد الورى. وكل ما هو خلاف الإسلام فنحن بريّون منها، ونؤمن بكل ما جاء به رسولنا ﷺ وإن لم نعلم حقيقته العُليا. ومن قال فينا خلاف ذلك فقد كذب علينا وافترى. فاتقوا الله ولا تصدّقوا أقوال كل ضَنينٍ مَهين.. سعى إليّ كتنّينٍ، ومال إلى إكفاري بفَيلولةِ رأيه، واتّبعَ الهوى. واعلموا أن الإسلام ديني، وعلى التوحيد يقيني، وما ضل قلبي وما غوى. ومن ترك القُرآن واتّبع قياسًا.. فهو كرجل افتُرس افتراسًا.. ووقع في الوِهاد الـــمهلكة، وهلك وفنى. والله يعلم إني عاشق الإسلام، وفداء حضرة خير الأنام، و**غلام أحمد المصطفى**.

حُبّب إلي منذ صبوت إلى الشباب، وقادني التوفيق إلى تأليف الكتاب، أن أدعو المخالفين إلى دين الله الأجلى. فأرسلتُ إلى كل

مخالف كتابًا، ودعوت إلى الإسلام شيخًا وشابًا، ووعدت أن أري الآيات طُلابًا، ووعدتُ لهم نَشَبًا كثيرًا إن عجزت جوابًا. فشاهت الوجوه وَأْبًا، وما جاء أحدٌ وما أتى. ولم يجيبوا النداءَ، ولا فاهوا بيضاءَ ولا سوداء، وما ركض أحد منهم وما دنا.

فهذه آيةٌ من آيات صدقي وسدادي لقوم يتفكرون. من عرفني فقد صدقني، ومن لم يعرفني فلم يصدقني، ومن جاهد في أمر يكشف الله ذلك الأمر عليه، فطوبى لقلوب هم يجاهدون. لن يُحرَز جَنى العود بالقعود، ولا يملِك فتيلا من لا يؤثر سبيلا، والذين يطلبون فهم يجدون.

فيا قوم.. لا تكفروني بغير عرفان، ولا تكذبوني بغير سلطان، ولا توسعوني سبّا، ولا توجعوني عتبًا، ولا تدخلوا في غيب الله، ولا تصروا على ما لا تعلمون. عسى أن تكفروا رجلا وهو مؤمن عند الله، وعسى أن تفسّقوا أحدًا وهو صالــحٌ عنده، والله يرى قلوب عباده وأنتم لا تُبصرون. يا قوم.. إن كنت على باطل فالله كاف لإزعاجي، وإن كنت على حق فأخاف أن تؤخذوا بما تعتدون.

يا متصوفي الهند.. إن أهل الصلاح منكم قدر قليلٌ، وأكثركم مبتدعون. وفيكم الذين مالوا إلى الرهبانية، وتركوا ما أُمروا به، ولا يخافون الله ولا يبالون. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى،

وإلى رياضات البراهمة يسارعون. ويُدمون سنابك سوابقهم، ويعقرون مناسم رواسمهم، ويحسَبون أنهم يُحسنون. يقولون آمنا بالقرآن، ولا يؤمنون به، ويقولون نتبع السُنن، ولا يتبعونها، وهم إلى طرق الغي منقلبون.

إن الذين وجدوا الحق فهم قومٌ يقطعون تعلق الأشياء مع وجود تعلقها، ويتبتّلون إلى الله بنهج كأنه لا عرس لهم ولا غرس، ولا عنس لهم ولا فرس، ويؤثرون الله على كل ولدٍ وأهل ومالٍ، فهم الموفَّقون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

ومنكم من أخلد إلى الإباحة، واتبع النفس في جذباتها، وفَلَى مجاهلَ الـهلاك والـمَنون. وأضاع أساوِدَه وزاده ومِزْوَدَه، ونسي منازله ومناهله، وأغضب ربه، وقصفت الريح فُلْكَه، ودخل في الذين هم مغرقون. ألا يرى أن استصحاب الزاد من أصول المعاش والمعاد، وقد سنح له إِرْبُه إليها في الدنيا، ولا يمل فيها من كسب المال ومن كل ما يحجّون. فسوف يعلم لما يشرع في القُلْعة أنه يرحل بأيد صفر إلى دار دائمة الرُّجون.

ومنهم من أخلط عملا صالـحًا بغير صالح، ومزج الكفر بالإيمان، وركب اليقين بالظنون، فأجمع على الجنوح إلى هوى النفس، ووقع من شاطئ المرسى في بحر الظلم والرُّكون، وأوقع

نفسه في مسالك الهُلْك، وبَوادي التبار، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون.

يا حسرة عليهم! أحدثوا في الدين أشياء، وتبع كل منهم ما شاء، أُف لهم ولما يبدعون. وكم من بدعة ألزموا طائرها في عنقهم وهم بمفسادها فرحون. يحافظون على بدعات البراهمة، وشعار الكفرة الفجرة، وأخذوا كل طريقٍ من طرقهم، من قبيل إلقاء التوجه، وإجراء القلب، والعكوف على القبور وطوافها والسجدات لأهلها، وهم بها يفخرون. وما كان عبادتهم إلا تصوّر صور مشايخهم في الصلاة وخارجها، وبالله هم يشركون. ويفضّلون طرائقهم وطاغوتهم على النبي ﷺ، ويقولون: إنّا ما رأينا النبي، وما نعلم القرآن، إنْ نبينا إلا شيخنا، وملفوظاته قُرآننا، وإنا لمصيبون. يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا، ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون. تراهم عاري الجِلدة من لباس التقوى وصدق الإقدام، وبادي الجُرْدة من شعار الإسلام، وفي عيشتهم ووجوههم علمٌ على ما يكتمون. جوّهم مزمهرّ، ودَجْنُهم مكفهرّ، وفهمهم كالدواب، وزهدهم كملامح السراب، وهم يحسبون أنهم عارفون. تبًّا لِعيشتهم.. هم ثعالب في المعاملات، وذياب عند

المخاصمات، يفرحون بعطاء الناس، وهم عند المنع وترك الخدمة يعبسون. يأوون إلى وَفْر، ويُعرضون من يد صفر، ويشتكون.

يحسبون أنهم صاحب دهاء، وما هم إلا كإناء خالٍ من ماء، ويُسَرّون بهذيان المبطرين المطرين ولا يفهمون. والسبيل إلى سَبْرهم وتقدير معارفهم وحِبْرهم ونور قلوبهم سهلٌ هيّن.. وهو أن يُعرَض القرآن الكريم عليهم ويُسألون. فإن الفرقان مملوٌّ من عجائب الأسرار ودقائقها ولطائفها، ولكن لا يمسه إلا المطهرون، ولا يستنبط سِرّه، ولا يطّلع على غموض معانيه إلا الذي أصابه حظٌّ من صبغة الله، فطوبى للذين يُصْبغون. وهم قوم شغفهم الله حبًّا، وطهّرهم نفسًا، وزكّاهم وجلّاهم، ورفعهم إليه، فهم في ذكر حِبّهم دائمون. جُذبوا إلى الحق بكل قلوبهم، وفنوا في ذكر محبوبهم، وبذلوا روحهم، وقضوا نحبهم، وصاروا بكل وجودهم لله، وهم عن أنفسهم منقطعون. ما بقي تحت ردائهم إلا الله، تحسبهم باقين موجودين وهم فانون. جرّدوا سيوفًا حديدة على أنفسهم سفاكين، وانسلخوا منها كما ينسلخ الحيّة من جلدها، ويرى الله صدقهم ووفاءهم، وهم عن أعين الناس غائبون. أعجبَ الملائكة سِلْمُهم وإسلامهم، وثباتهم وتعلقهم بحِبّهم، وجهال الناس عليهم يضحكون. يؤذونهم ببهتانات، ويكفرونهم بمفتريات، ولا يعلم سرهم إلا الله، وهم تحت قبابه مستورون.

والذين آثروا الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وفسقوا وأفاحوا دم التقوى، وقَفَوا ما لم يكن لهم به علم، فسيعلمون أي منقلب ينقلبون. يخافون الخلق ولا يخافون الله، وهم على أنفسهم شاهدون. منَعهم شمم أنوفهم وعظمة عمائمهم من قبول الحق، فأعرضوا عن داعي الله وهم يعلمون. كل أحد منهم يُسحِت السُّنّةَ ويبري، ويدعو البدعات ويقري، ويقول: انظروا زهدي وفقري، ولا يدرون شيئًا ويحسبون أنهم واصلون. وينظرون إلى الخلق، وإلى الله لا ينظرون. لا يرون غارات الرزايا على الإسلام، ويعكِفون على أهوائهم كعكوف المشركين على الأصنام ولا يبالون. عفت دار الدين وهم غافلون، وغاض در الإسلام وهم نائمون، وبار سعر الشرع وهم يستبشرون.

لا يدرون نار العشق وحرارة الذكر وقبس الفكر، غير التضحي واصطلاء الجمر، ويحبون أن يُحمَدوا بما لا يفعلون. يراءون أنهم نِضْو مجاهدات، وهم عاري المطا من لباس تقاة، ويذكرون تهجداتهم وهم للفرائض تاركون. لا نصيب لهم من كلام رب غفور، ولا من خبرٍ مأثورٍ، وبأشعار الشعراء يتذاكرون. صبّت على الإسلام مصائبُ ونوازل وهم غافلون. لا يواسون مقدار ذرة وفي الشهوات هم مستغرقون. وإني أراهم كمازح بالشريعة الغراء، ومستهزئ بأحاديث إمام الورى. يؤثرون أبيات الشعراء على

آيات كلام الله، وبها يفرحون ويرقصون، ويسمعون القرآن فلا يبكون ولا يتضرعون. قوم خرجوا من طريق الاهتداء، وآثروا الظلمة على الضياء، يدبّون في الليلة الليلاء، كالناقة العشواء، ما لهم حافٌّ ولا رافٌّ، ويذهبون أين يشاءون.

ووالله إني أرى نفوسهم قد فسدت، وشابهت أرضًا خربةً، وبالحشائش الخبيثة ملئت، يزحَفون كزحف البهائم ولا يستقيمون. الإفراط عادتهم، والاعتساف سيرتهم، وآثار البراهمة الضالة مبلغ عرفانهم، وأشعار الشعراء وقود وجدهم وغذاء جنانهم. تركوا ربهم والتصقوا بالدنيا، وجعل الله على قلوبهم أكنّة فهم لا يفقهون. صنعوا لأنفسهم مآزر من أصحاب القبور، وأضاعوا بركات ذَرى الرب الغفور، ويفسقون ولا ينتهون. تركوا ملكًا داخ البلاد، واتبعوا كل حقير لا يملك الزاد. وما ظلموا الله ولكن أنفسهم يظلمون. افتتنوا بإطراء المادحين، وأهلكهم إغضاء المسامحين، ولم يقتبسوا نورًا من القرآن، وفي وادي الشعراء يهيمون. يريدون غسل المريدين من أدناس الذنوب، وهم متلطخون بأنواع العيوب، ولا يعلمون. أيها الغِمْر الجاهل.. قُمْ أوّلا لغسل قلبك، ثم انهض لغسل أخيك بأيد مطهِرة، ولا تقل للناس ما لا تفعل فيضحكون. وكيف تغسل بدن إخوانك وإن

بدنك قد اتسخ، ودرنه قد رسخ، وأنت لا تنتهج مهجة الاهتداء فكيف هم ينتهجون؟

وإن كنـــتم في ريـــب مما أمرتُ به فتأهبوا للنضال، واستعِدّوا لإراءة آيات الكمال وصدق الحال، من الله ذي الجلال، وإنا نَحن لإراءتها مستعدون. اعلموا أن الولاية كلها في إجابات الدعاء، ولا معـــنى للولاية إلا القبولية في حضرة الكبرياء. فالمضمارَ المضمار، وإن تؤثروا الفرار، فأنتم كاذبون.

تعالوا يدخلكم الله في رياض الأمن، ولا تفرحوا بخَضراءِ الدِّمَنِ، وأنتم تعلمون. يدعوكم الله إلى الخير فما لكم لا تلبّون؟ ويوقظكم واعـــظٌ مـــنكم فما لكم تتناعسون؟ ويجذبكم يد الغيب فلم.. يا قـــوم.. تتقاعســـون؟ قد جاءكم أنباء الله فلم تتناسون؟ وقد جاء الحـــق وزهق الباطل وأنتم تمارون. وقد تجلت لكم الآيات وأنتم تعـــامون. ألا ترون أن الأرض قد زلزلت، وأن الفتن قد أحاطت، وأن القلوب قد ماتت، وكل داهية على الإسلام نزلت، وكل آفة اندلفت عليه وغلبت، واستيقظ الأعداء وأنتم تنامون؟

أرى البدعات في كل قولكم وفعلكم، وفي كل عمل تعملون، وفي الأجداث التي ترفعون، وفي ثيابكم التي تصبغون، وفي الأشعار التي تنشدون، وفي الوَخْد الذي تمشون، وفي القصص التي تقصّون بالفخـــر وتتكـــبرون، وفي لحيـــتكم التي تطيلون أو تحلقون، وفي

طــيوركم التي تصطادون. ما لكم لا تستعبرون على غفلتكم ولا تتندّمون؟ ما لكم لا تخافون الله ولا ترتاعون ولا تلتاعون؟ ونسيتم يومكـــم الذي فيه إلى الله ترجعون. وأرى الفساد في أعينكم التي إلى الدنـــيا تمـــدّون، وتحملقون حملقةَ البازي المُطِلّ وعلى جيفتها تقعـــون، وفي لُسْـــنكم الـــتي تُحِدّونها على الإخوان وتطيلون، وكالصّـــل تُنَضْنِضُونَ ولا تكفّون، وفي آرائكم التي تُسقطون فيها ولا تصـــيبون. ولا تميّزون الفائق من المائق وتخلطون. وعلى بادرة الظـــن تســـبّون وتغـــتابون. وبولايتكم تفتخرون، وعند الدعوة للمقابلة تولّون الدبر وتنهزمون، ثم لا تخجلون.. بل على فيوضكم تُساجلون. وإني أعلم أنكم جمادٌ محضٌ، ما دناكم روح الله وإنكم ميّـــتون. وإن كنتم على شيء فما منعكم أن تتجاولوا في الميدان وتتراســـلوا، وفي المضمار تتبارَوا وفي حلقة السوابق تتبارزوا، كما أنكـــم تدعون؟ فإن بارزتم.. فتجدون مَطْلَعي عليكم أسرعَ من ارتداد طَرْفكم إليكم، ويخزيكم الله خزيًا مؤلـــمًا وتُغْلَبون.

إني جئت لإعلاء كلمة الإسلام وأنتم تخالفون، وأريد أن أجدّد دين الله وأنتم تزاحمون. ألا ترون أن الإسلام عاد غريبًا، وورد عليه ما لم يره الرّاءون، ولا رواه الرّاوون؟ ما لكم لا تأخذكم الرجفة من هذا ولا تتألّمون؟ وما لكم لا تغيرون على هذا ولا تشتعلون؟ أ أنتم رجال أم مخنّثون أيها الجاهلون؟ ألا ترون أن الفتن

قد تعاظمت، وأن ظلماتها قد عمّت وأحاطت، وأن الأرض ألقت ما فيها وتخلّت، وأن البدعات قد ثرَّتْ وكثرت، وأن تعاليم القرآن قد رُفعت، والنفوس إلى الأرض أخلدت، وإلى الدنيا مالت، وتغطّت الآراء تحت البدعات وفي الأهواء أفرطت، وكل قوم أفسدت طريقها وضلّت، فما بقي بعد ذلك ما ينتظره المنتظرون؟

وإني.. والله.. من عنده، ودعوت الناس من أمره، فليختبر المختبرون. وإني أضع أمام العلماء والمشائخ لعنةً وبركة، فليأخذوا منهما ما شاءوا، وليميلوا إلى ما يميلون.

أما اللعنة فللذين يكذّبونني باتباع الظنّ، ويكفرونني رجمًا بالغيب، ولا يعلمون الحقيقة ولا يتدبّرون. ولا يطلبون منّي ما يشفي صدورهم ولا يحضرونني ليشاهدوا الآيات ولينجوا من الشبهات، كما يفعل المتقون. ألا إنهم هم الذين شقُوا في الدنيا والآخرة، وعليهم لعنة الله بما يكفرون المسلمين بغير علم وبما كانوا يظنّون ظنّ السوء وبما كانوا يستعجلون.

وأما البركة.. فللذين يسمعون كلامي، ويرون آياتي، ويظنّون بأنفسهم خيرًا، ويقبلون الحق ولا يستكبرون. فأولئك هم الذين سعدوا في الدنيا والآخرة، وقاموا لطلب الحق فهم يطلبون. لا يمشون مكبّين على وجوههم، ويسألون عند كل شبهة لينجوا

منها، ولا يصرّون على الباطل ولا يغفلون. فعليهم صلوات الله ورحمته وبركاته وهم مرحومون.

يا أيها الناس.. اسألوني إن كنتم تشكّون. وادعوا لله تضرعًا وخفية، واستكشِفوا منه يكشف عليكم، ولا تقعدوا مع الذين يخوضون بشرّ من عند أنفسهم، ولا يتبعون سبيل الرشد، ولا يطلبون الحق وهم مستكبرون.

يا أيها الناس.. إن نزول المسيح كان أمرًا غيبيًا، فالله أبدى غيبه كيفما شاء، فلا تجادلوا في غيب الله، ولا تتعدوا حدودكم وأنتم تعلمون. وإن كنتم في شك مما قلت وادعيت لنفسي.. فاقصدوا قريتي، والبثوا أيامًا في صحبتي، يكشف الله عليكم ما في قربتي، ويحكُم فيما كنتم فيه تختلفون.

وإن استطعتم.. فتعالوا لإراءة آيات صدقكم ورؤية صدقي، وأجمِعوا عليّ خيلَكم ورَجِلَكم وإخوانكم المبتدعين، وأحياءَكم القبوريّين، وادعوا عليّ ولا تُمهِلون. فإن كانت لكم الغلبة فاذبحوني بأي سكّين تشاءون. واعلموا أن الله مخزيكم، ولا يؤيد إلا عبده، ولا يعلي إلا دينه، ويهلككم أيها المفسدون. إن الله لا يرضى لعباده الكفر والشرك والبدعة، وأعداؤه هم المذبوحون. إنه معي، وقد أخبرني من سرِّ نزول المسيح وعُمِّيَ عليكم، وكان هذا فتنة من الله، يخفي ما يشاء ويبدي، وكذلك سنته في أنباء الغيب،

فويل للذين يحاجّون في غيوب الله، كأنهم كانوا عليها محيطين، وكانوا على كل خفاياها مطلعين، ولا يحذرون.

أيها الناس.. كل شجر يعرف بأثماره، فستعرفونني بأثماري، فلِمَ تشاجرون؟ وكُفُّوا ألسنتكم من الإكفار، وأيديكم من الإضرار، واتقوا سخط الله القهار، وادعوا الله كشف هذه الأسرار، فسوف تُخبَرون. إني أدعوكم إلى أمر فيه ثمرة خيركم وعلاج مَيرِكم، وهو أن يجاهد كل أحد منكم، ويسأل الله تعالى أن يريه رؤيا كاشفًا لحقيقة الحال، أو يلهمه إلهامًا يليق للاستدلال، والله قادر على كل شيء، فيعطيكم إذ أنتم بكل قلبكم تسألون. فقوموا في أواخر الليالي وتوضّأوا، ثم صلُّوا ركعاتٍ وابكوا وتضرعوا، وصلوا على النبي الكريم وسلموا، ثم استغفروا لأنفسكم واستخبروا، وداوموا على هذا أربعين يومًا ولا تسأموا، فستجدون من الله أمرًا يقودكم إلى الحق، وتنجَّون من الشبهات، كما ينجى الصالحون. فما لكم لا تقتدون سنن الصلحاء، ولا تنتهجون مهجّة الأتقياء، وتحبّون أن تفسّقوا وتكفروا إخوانكم بغير علم، فتؤخذون عند الله وتحاسَبون؟ أتحسبون الإكفار هيّنًا، وهو عند الله عظيم، ما لكم لا تتقون الله ولا تتفكرون؟

يا أيها الناس.. توبوا توبوا، قبل أن تغلق أبواب التوبة وأنتم تنظرون. يا أيها الناس.. اجتنبوا مجالس قومٍ متصوفةٍ يقولون: إنا

نحن لجِشْتيّون، وإنا نحن لقادريّون. يأتونكم في جلود النعاج وهم ذياب مفترسون. تروهم أذنًا للأغاريدِ، والمعرضين عن سنن النبي الوحيد، وأكثرهم فاسقون. قرِموا لِقينات غَيداءَ، ودَعُّوا الشريعة الغراء، وخلعوا رَسَنَهم واتبعُوا الأهواء، فهم عليها منتكسون. ما لهم من علم من معارف القرآن، وما مسّت قريحتهم دقائق الفرقان، ويحسبون أنهم إلى قصوى المطالب فائزون. وإذا قيل لهم: اتبعوا داعي الله.. قالوا: لا نعلم ما الداعي، وإنا نحن الراشدون المرشدون. وإذا دُعوا إلى الله وسنن رسوله ﷺ لَوَّوا رؤوسهم استكبارًا، واتخذوا نُذُرَ الله هُزْءةً وهم يستهزئون. ويقولون إن المحدثيّة وشرف مكالمات الله وشرف رسالته ليس بشيء، ولو شئنا لجعلنا أدنى مريدينا بالغ هذا المقام، ولكنّا لمثل هذه الأمور كارهون. ختم الله على قلوبهم، فهم لا ينظرون إلى الحق ولا يقصدونه ولا يَسـيجلون، ويحتقرون الذي أرسله الله إلى عباده، ويقولون: قد أنبأنا الله: إنه كافر كذّاب، ويصرّون على قولهم وهم يكذبون. ويقولون: إن البركات كلّها منوطة بالبيعة، وما لهذا الرجل شرف بيعة شيخ من المشايخ. وما بيعتهم إلا كصفقة المغبون، وإنْ قولهم إلا كذبٌ نَحَتَه الصوّاغون.

يا حسرةً عليهم! ألا يعلمون أن المسيح ينـزل من السماء بجميع علومه، ولا يأخذ شيئا من الأرض، ما لهم لا يشعرون؟ ألا

يعلمون أن الذين يُرْسَلون من لدن ربهم لا يحتاجون إلى بيعة أحد، وهم من ربهم يتعلّمون، وكل علم منه يأخذون.. به يبصرون، وبه يسمعون، وبه ينطقون؟ يسكن فيهم رُوح الله، فهم بروحه يتكلّمون، وبه ينوِّرون كُلَّ مَن سلِم نظمُ فطرته، وبه يفيضون. وبه يُطلعون على كنوز العلم، ويقيمون حجّة الله على كل من لجّ بإنكار الحق وجحوده، ومن الله يُنصرون. يُودِع الله صدورهم معارف القرآن، ويُظهرهم على نوادر وقائع الزمان، ويعطيهم شيئًا ما لا يعطى غيرهم، وهم من غيرهم يميَّزون. ويهب لهم مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدهم، وهم بعناياته يخصصون. وأنى لكم هذا الفضل أيهاً المتمردون المكذبون؟ وإن كان في بيعتكم وبيعة مشايخكم أثر.. فأرُوني فيها هذا الأثر أيها الكاذبون. وإن كان في صحبتكم وصحبتهم فيض.. فما لي لا أرى ذلك الفيض.. أأنتم تثبتون؟ قد هلكتم وأهلكتم جبِلا كثيرًا أيها المفترون. ما لكم.. ما نفع الناس بيعتكم، وما أنتم منه منتفعون؟ وما مجلسكم إلا حلقة ملتحمة، ونظّارة مزدحمة، وما يُقرأ القرآن في مجالسكم، بل بالأشعار تتلاعبون. والذين يبايعونكم ما أرى فيهم حُب الله وحُب رسوله لما لا أراهم متناهين من الفسق والمعصية، بل إلى المعاصي يسعون ويسارعون. ويركَنون من الله إلى غير ركين، ويعبدون القبور ويستعصمون بغير مكين، وينتكسون على جيفة

الدنيا، فهم مالئون منها البطون. يكلَفون بها لغباوتهم، ويكلَبون عليها لشقاوتهم، وهم فيها يعتدون. لا يعلمون من القرآن دقيقة، ولا يقرؤونه، ولا يتزودون للآخرة شيئًا، ولم يزالوا لدنياهم يعانون.

يا أيها الناس! توبوا توبوا، فإن الأيام قد كملت، وساعة الله قد اقتربت. فطوبى لعين أمعنت ورأت، وطوبى لأذن أصغت وسمعت، وطوبى لقدم إلى الحق نهضت وسارعت، وطوبى لقوم هم يقبلون الحق ولا يعرضون.

أيها المسلمون.. جعلكم الله مسلمين.. اعلموا أني من الله، وكفى بالله شهيدًا، واعلموا أنه ينصرني، ويؤيدني، ويعلمني، ويلهمني، وأعطاني من معارف لا يعلمها أحد إلا بتعليمه، فما لكم لا تقبلون ولا تمتحنون؟

أيها الناس.. ادنوا مني ولا تتحولوا، وافتحوا أعينكم ولا تغضّوا، وادخلوا في أمان الله ولا تبعدوا، وتَطهّروا عن الحقد والشَّنَآن ولا تلطّخوا، وتَجلّدوا إلى التوبة ولا تستأخروا، ولا تُفرِطوا في سوء الظن واتقوا واجتنبوا، واستعينوا بالصبر والصلاة وجاهدوا، ولا تعجَلوا ألا لا تعجَلوا، وادعوا الله متضرعين، واطرحوا بين يدي ربكم، واسألوه حقيقتي وحقيقة أمري بكل

قلبكم، وبكل توجهكم، وبكل عزيمتكم، وبصدق همتكم، يكشف الأمر عليكم وتُجابوا.

ارفقوا أيها الناس.. ارفقوا، ولا تَغلُوا في سبّكم ولا تعتدوا، واتقوا إنكار عجائب الله التي أُخْفيت من أعينكم ولا تجأروا، وارحموا على أنفسكم ولا تظلموا، أيها المستعجلون.

يا مشائخ الهند، إن كنتم تحسبون أنفسكم شيئا فما لكم لا تبارزونني ولا تقاومون؟ وإني أراكم في غلوائكم سادرين، وسادلين ثوب الخيلاء ومعجبين، وأهلككم المادحون المطرئون. تعالوا ندع الرب الجليل، ونتحامى القال والقيل، ونطلب من الله البرهان والدليل، ونسأل الله أن يفتح بيننا وبينكم ليتبين الحق ويهلك الهالكون. وإني.. والله.. أتيقن فيكم أنكم الثعالب وتستأسدون، وبُغْثانٌ وتستنسرون، وكذلكم في أمري تظنون. فتعالوا نجعل الله حَكَمًا بيننا وبينكم، ليكرم الله الصادقين ويخسر المبطلون. فإن كان لكم نصيب من نعمتي التي أنعم الله عليّ.. فبارزوا على ندائي، وواجهوا تلقائي، وابتدروا ولا تُمهِلون.

ووالله.. ما أرى فيكم نفسًا من الصلحاء.. إلا كالشعرة البيضاء في اللِّمّة السوداء.. وأراكم أنكم أضللتم عباد الله، وعقرتم ناقة الإسلام وتعقِرون. وقد أرسلني ربي لأعرّفكم طرقا تسلكونها، وأعمالا تعملونها، وأخلاقًا تتهذبون بها، فأجيبوني: أتقبلون دعوتي

أو تردون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الإسلام ومصائبها، وإلى آفات جديدة وغرائبها، ولا تواسون أيها الغافلون؟ هذا وقت جمع ضلالةَ كل تَنوفة، وسلالةَ كل مَخوفة، وأتى الزمان بعجائبِ فتنٍ وعلومٍ أُطروفة، يُعرَف فيها علامات الوقاح كامرأة مطروقةٍ يقبلها الأحداثُ ويستملحون.

أيها الناس.. جئتكم في وقت كادت الشمس تغرب فيه وتجِب، وضياء الإسلام يستتر ويحتجب. فما لكم لا ترون الأوقات، وما تقبلون النور الذي نزل في وقته، وفي أنباء الرسول تشكون؟ ما لكم قد جمدتم وناقتكم قعَدت وأرنفت بأذنيها، ونفسكم لغِبت وسقطت على ساقيها، وما بقي لكم حس ولا حركة ولا أَنتم تتنفسون؟ أأنتم نائمون أو ميتون؟ ما لكم لا تسمعون ولا تجيبون؟ أتحبون الحياة الدنيا ولا تذكرون موت آبائكم ولا تخافون؟ يا حسرة على شُفوفكم في الدّين، وتشوّفِكم أجسامَكم بالتسمين، وخُلوِّكم من مواساة الإسلام والعلم واليقين ومما تدّعون. ألا ترون ريحًا مطوِّحة عن طرق الصواب، وفتنًا مبرحة لأولي الألباب؟ ألا ترون رأس المائة التي كنتم تنتظرونها؟ ألا ترون أظلال الظلام، واقتحام جيش الليام، فلم لا تستيقظون؟ ألا ترون أن الإسلام صار كاليتيم المَزْءود، وهمم المسلمين كالنِّضْو المجهود، وخوف الله

كالمتاع المفقود، وعلم القرآن كالحي الموءود؟ ترونه، ثم تتجاهلون؟!

أيها الناس! امتحِضوا حَزْمَكم في الأفكار، وديانتكم في الأنظار، ولا تحيدوا من الله البار، ولا تردّوا نعمة الله التي جاءت في وقتها، ولا تولوا وأنتم معرضون. وإن تسمعوا قولي، وتلتفتوا إلى مواعظي، وإلى الوصايا التي أنا موصيكم اليوم، فالله يرضى عنكم، ويثمركم ويكثركم، وينـــزل بركاته عليكم، ويجعل بركة في أولادكم وذرياتكم، وزروعكم وتجاراتكم، وعماراتكم وإماراتكم، ويحييكم حياة طيبة، فتدخلون في أمان الله وتحت ظله تعيشون. وإن لم تنتهوا من شروركم، ولم تضعوا حُكم الله على نحوركم، فتؤخذون بذنوبكم، وتأكلكم نار عيوبكم، ويجعلكم الله قصصًا للآخرين، وعبرة للناظرين، ويذرّيكم ويزعجكم، فتبقى طلولكم وأنتم تفنون. ويجرّد الله وراءكم سيفه، ويسلط عليكم من يؤذيكم، ويضرب عليكم الذلة، ومن كل مقام تُطردون.

إن الله يريد أن يؤيد دينه، وينصر عبده. أفهذا إسلامكم.. أنكم على خلافه واقفون؟ أتستطيعون إزعاج شجرة غرسها الرب الكريم؟ أبالله تحاربون؟ رَبّ.. ما أرعبَ إقدامَك! إذا نزلتَ لنصرة قوم فهم الغالبون. رَبّ.. ما أقطعَ حسامَك! إذا جردته على حزبٍ فهم المقطوعون. إن الله تجلى بألبسة جديدة، فقوموا له أيها

الغافلون. وإن تغافلتم وأعرضتم فسوف تذكرون وتتندمون. انظروا إلى أقوام قبلكم، عصوا الله.. فضربهم على سيماهم، وأخذهم بالبأساء والضراء، وأبادهم بالآفات وأنواع البلاء، وما أنتم خير منهم، وما ضعف الله وما لغِب وما استكان، فما لكم لا تتقون جلال الله ولا ترتعدون؟

وما قلنا فيكم إلا شيئًا قليلا، وسدلنا على كثير من مخازيكم، وآثرنا التغاضي على الملام، لعلكم تشكرون في أنفسكم وتتوبون.

إلى مشايخ العرب وصلحائهم

السلام عليكم، أيّها الأتقياءُ الأصفياء، من العَرب العُرَباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرض النبوّة وجيرانَ بيتِ الله العظمى. أنتم خير أُمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقومٍ أن يبلغ شأنكم. قد زِدتم شرفًا ومجدًا ومَنْزلا. وكافيكم من فخرٍ أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وَطنًا ومأوًى ومولدا. وما أدراكم مَنْ ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتَم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كُلِّ من دَبّ على رِجْلين ومشى. وقد أدرك وحيُه كُلَّ فائت من رموزٍ ومعانٍ ونكات عُلَى. وأحيا دينُه كلّ ما كان ميّتًا مِن معارف الحَقّ وسننٍ الهدى. اللّهم فصَلِّ وسلّم وبارِكْ عليه بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعددِ كلّ ما في السماوات، وبعدد كل ما ظهر واختفى، وبلِّغْه منا سلامًا يملأ أرجاء السماء. طوبى لقومٍ يحمل نِيْرَ محمدٍ ﷺ على رَقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُبّه فنى.

يـــا سُـــكّانَ أرض أَوطأته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يـــا عـــباد الله. وإني أحنّ إلى عِيان بلادكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطـــئ أقدام خير الورى، وأجعلَ كُحْلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها، ومعالمها وعلماءها، وتقرّ عيني برؤية أولـــيائها، ومشـــاهدها الكُبرى. فأسأل الله تعالى أن يرزقني رؤية ثراكم، ويسّرني بمرآكم، بعنايته العظمى.

يا إخوان.. إني أحبّكم، وأُحبّ بلادكم، وأحب رمل طرقكم وأحجار سكككم، وأوثركم على كل ما في الدنيا.

يـــا أكـــباد العرب.. قد خصّكم الله ببركاتٍ أثـــيرة، ومزايا كـــثيرةٍ، ومـــراحمه الكُـــبرى. فيكم بيت الله التي بوركَ بـــها أُمّ القُـــرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العـــالم وأظهـــر جـــلال الله وجلّى. وكان منكم قوم نصروا الله ورسوله بكل القلب، وبكُلّ الروح، وبكُلّ النُهى. وبذلوا أموالهم وأنفســـهم لإشـــاعة دين الله وكتابه الأزكى. فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل، ومن لم يكرمكم فقد جار واعتدى.

يـــا إخـــوانِ.. إني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبدٍ مرضوضةٍ، ودموع مفضوضةٍ، فاسمعوا قولي، جزاكم الله خير الجزاء.

إني امرؤٌ ربّاني الله برحمة من عنده، وأنعم علي بإنعامٍ تامٍ، وما أَلَــتَني من شيء، وجعلني من المكلَّمين الملهَمين. وعلّمني من لدنه عِلْمــا، وهــداني مسالك مرضاته، وسكّكَ تُقاته، وكشف عليّ أسراره العُليا. فطورًا أيّدني بالمكالَمات التي لا غبار عليها ولا شبهة فيها ولا خفاء، وتارةً نَوّرني بنور الكشوف التي تشبه الضحى.

ومــن أعظــم المــنن أنه جعلني لهذا العصر ولهذا الزمانِ إمامًا وخليفةً، وبعثني على رأس هذه المائة مجدّدا، لأخرج الناس إلى النور مــن الدُّجى، وأنقُلهم من طرق الغَيّ والفساد إلى صراط التقوى. وأعطــاني ما يَشْــفي النفوس، وينفي اللَّبْسَ المحسوس، ويكشف عن الخَلق الغُمّى.

إنه وجد هذا العصر أسيرًا في مشكلات ومخنوقًا من معضلات، وهالكًا تحت بدعات، وسَيّئات وظلمات، فأراد أن ينجّي أهله من تلــك الآفــات وأنواع البلاء. وإنه رأى فساد قسِّيسين وفلاسفةِ النصارى قد بلغ من العمارات إلى الفلوات، ومن النيّات إلى عملِ الســيّئات، ومن سطح الأرضين إلى الجبالِ الشامخات، ورأى أنهم عتَوا عتوًّا كبيرًا، وبَلّغوا أمرهم في غلوّهم إلى الانتهاء. ورأى الرب المجــيد أنه ابتُلي كثيرٌ من الخلق بدقائق فتنهم، ولطائف ذكائهم، وغــرابة دهــائهم، وسحرِ علومهم، وطلسم فنونهم، وخديعتهم العظمى. ورأى أنهم ينهبون دين الناسِ وإيمانهم، ويسحرون قلوب

الناس وأبصارهم وآذانهم، ويَفلُون المعالم والمجاهل لإضلال الورى، ويُــرُون بســحرهم الظُلمةَ كالسنا، وخرج بتحريكاتهم قوم من الهــنود يســمون أنفســهم "آريا"، ويقولون لا نؤمن بكتابٍ إلا بوَيْدِنا، الذي أُنزل في ابتداء الدنيا. وما في ويدهم إلا تعليمُ عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والماء والهواء، وإنْ كانت نساؤهم لم يلــدن لهم أبناءً فيأمرهم وَيْدُهم أن يؤذنوا أزواجهم لارتكاب الزنا، ويَذْرَؤُوا لأنفسهم أولادًا من هذا الطريق، وداوموا لنجاتهم عــلى هــذا العملِ أبدا. ويسمى هذا العمل بلسانهم بــ"نيوك"، ويحسبونه عملا مقدّسا. فهذه شريعتهم وأحكام كتابهم، ومع ذلك يُعضِــلون قومَهــم أن يُسْلِموا، ويسبّون خير البرية شرًّا وخُبثا. ويصــرّون على السبّ والشتم والتوهين، ويؤلّفون في رد الإسلام كُتــبا، ومــا ردّهم إلا مجموعة الافتراء. وهذه المفاسد كلها قد حدثــت من قسّيسين، وزُلزلت الأرضُ زلزالا شديدا، فالله خيرٌ حافظًا وخير مَأْزِرا.

ومن الآية المباركة العظيمةِ أنه إذا وجد فساد المتنصّرين ورآهم أنهــم يصــدّون عن الدين صُدودا، ورأى أنهم يؤذون رسول الله ويحــتقرونه، ويُطرون ابن مريم إطراءً كبيرًا، فاشتد غضبه غيرةً من عــنده، وناداني وقال: (**إني جاعلك عيسى ابن مريم**)، وكان الله عــلى كل شيء مُقْتدرا. **فأنا غَيْرةُ الله** التي فارت في وقتها، لكي

يعلم الذين غَلَوا في عيسى أن عيسى ما تفرّد كتفرّد الله، وأن الله قـــادر على أن يجعل عيسى واحدًا من أُمة نبيه، وكان هذا وعدًا مفعولا.

يـــا إخـــوان.. هذا هو الأمر الذي أخفاه الله من أعين القرون الأولى، وجلى تفاصيله في وقتنا هذا، يخفي ما يشاء ويبدي، وقد خلت مثله فيما مضى.

وفي اختـــيار هذا الطور الأخفى مصلحتان عظيمتان رآهما الله لعـــباده أنسبَ وأَولى. أما الأُولى فهي أن هذا النبأ كان من أنباء غيبية، وكان زمان ظهوره بعيدًا جدا، وكان الله يعلم أنه لا يظهره إلا بعـــد انقضاء أزمنة طويلة، وعصور مديدة، وارتحال كثير من الأمـــم من هذه الدنيا، وكان يعلم أنه لا فائدة للأولين في تصريح هذا النبأ المجمل وتفاصيله العظمى، وكان يعلم أنهم يموتون كلهم قـــبل ظهور ذلك النبأ وما يجديهم تفاصيله نفعا. فأراد أن يعطيهم ثـــواب الإيمـــان بعوض ما فات منهم ويهب لهم بعد إيمانهم أجرا حسنا. فترك تفاصيل هذا النبأ في وحيه واختار إجمالا لطيفا مبهَما كالمعمَّى. وجعل هذا الإجمال متحليا بالاستعارات، ومصبوغا من المجـــازات والكنايات، وأبعدَ من الأفهام والدرايات والقياسات، ليـــبلوهم أيهـــم يتبع أمرا. فآمنوا فرضي الله عنهم وجزاهم خير

الجـــزاء، لأهم أحسنوا الظن في الله ورسوله، وآمنوا بما لم يعرفوا حقيقته و لم يدركوا ماهيته أصلا.

وأما الثانية.. فإنه أراد – جل اسمه – ليبتلي الآخرين كما ابتلى الأولـــين، ليغفر لهم ذنوبهم ويهيّئ لهم عند إيماهم رشدا. وكانوا يعملـــون الســـيّئات من قبل وأضاعوا فيها قرونا وحُقُبا. وغلبت علـــيهم الشهوات حتى لم يملكوا أنفسهم، وحصدوا زروعها في الأهواء، وشاهوا صعيدًا جُرُزا. فأظهر الله ذلك النبأ المجمل المستور خـــلاف زعمهم ليبتليهم به رشدا وعلما وفهما، وليعطي المؤمنين كِفْلَـــين من رحمته ويجعل لهم لرضائه سببا. وكان هذا كله ابتلاءً من عنده ليميز المؤمنين المخلصين من غيرهم، ويتوب عليهم فضلا ورحمـــا، وليُخزي عقول الذين استكبروا في أنفسهم واتخذوا عبد الله وتبلـــيغه سُخْرة وهُزُوا. وكذلك أمر الله، إذا شاء ابتلاءَ قوم مذنب.. فربما يلبس عليهم نبأً موعودًا، ويقلب عقولهم وأفهامهم، فلا يفهمون سرَّ وعد الله ولا موعدا، ليذيقهم سوء ما عملوا من قبل ويجعلهم من الذين عادَوا عبدًا صادقا، وزادوا حَيفًا وشَطَطا. فينكّر تأويل النبأ في أعينهم فيحسبونه شيئًا فَرِيًّا مختلَقا. وما يحلّقون إلى حيث يحلّق ذو النهى، ولا يرون الإشاراتِ المطويّة في ذلك النبأ الأخفى، ولا يخافون فتنة الله التي تصيب المجرمين خاصّة ويجادلون كالأعمى. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

بنوع من الابتلاء؟ وقد خلت سنن الله في مثل ذلك، وفيها عبرة لكل قلب يخاف ويخشى.

فاعتبروا يا أولي الأبصار.. واسألوا أهل الذكر إن كان الأمر عليكم مشتبها. أعجبتم أن أتتكم سنة الأولين قبلا؟ أعجبتم أن أرسل الله إليكم حكما كاشفا لسر هذا النبأ، فنضا الحكم عن وجه النبأ سترا؟ أهذا في أعينكم أمر منكر، ونسيتم ما قيل لكم إن المسيح يأتي إليكم **حَكَمًا عَدْلا**؟ فما لكم لا تقبلون قول حَكَمكم.. أتنسون ما قال النبي ﷺ وأوصى؟ وإن تحسبون أنكم على صدق وحق.. فلو لا تأتون عليه بنظير من قبل.. وقد قال الله إن لسننه نظائر في الأمم الأولى. أتعرفون بشرا رفع إلى السماء ثم نزل بعد قرون كما تظنون في عيسى؟ ووالله إن هذا خارج من سنن الله ولن تجدوا من مثله في كتب الله أثرا. وقد قرأتم في الصحاح أن المسيح لحق بميتين من إخوانه، واتخذ مقامًا عند أخيه يحيى. وقد وعد الله للذين تُوُفّوا مسلمين أنهم لا يُردّون إلى الدنيا، ويمكثون في دار السعادة أبدا. وقال النبي ﷺ إني أُخبرت أني أعيش نصف ما عاش عيسى، وفي ذلك دليل على وفاة المسيح لمن كان له قلب أو يمعن النظر وهو يرى. فليحكم أهل الحديث بما جاء من النبي ﷺ في الصحاح، ولا يجادلوا بأحاديث نزوله قبل أن يثبتوا صعوده بجسمه إلى السماوات العلى. ولو شاء الله لفتح آذانهم،

وبصّر أعينهم، وفهّم قلوبهم، ولكن ليبلوهم فيما آتاهم، وليخزي الله مـــن أراد خزيه في الدنيا والعقبى. ولو أن أهل الحديث آمنوا واتقـــوا لكفّر الله عنهم سيئاتهم وكتبهم في الصادقين، ولكن بخلوا واستعجلوا، واختاروا لأنفسهم عوجا، واتبعوا أقدام السفهاء الذين خلوا من قبل، ونسوا كل ما ذُكّروا به، وطلبوا لِدنياهم مرفقا. فلا يضـــرون الله شـــيئا من مكائدهم، وإن كانوا ليزيلوا من كيدهم جبلا. ولا تحسَـــبُنّهم بمفازة مِن أخذ الله، ولا تحسبوا عداوة الحق أمـــرا هينا. والله يتم وعده وينصر عبده، فإن جنحوا للسلم فهو خير لهم، وإن عتَوا فسيريهم الله ذلا وخزيا.

وقـــد أتممت عليهم حجتي، وقرأت عليهم براهين صدقي، فما نظـــروا من الإنصاف نظرا. ألا يرون أن الله أخبر من وفاة المسيح في مقامات شتى؟ والقرآن كله مملوّ من ذلك، ولا تجد فيه لإثبات حياته حرفا أو لفظا. وهناك قول المسيح في القرآن: ﴿وكنت عليهم شـــهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾.[1] فانظر كيف يثبت من ههنا أن المسيح توفي وخلا. ولو كان نزول المسيح ومجيئه مقدرًا ثانيا لذكر المسيح في قوله شهادتين ولقال مع قوله: كنت عليهم شهيدًا وأكون عليهم شهيدا مرة أخرى.. وما

[1] *سورة المائدة: ١١٨*

حصــر في الشــهادة الأولى. وقال الله تعالى: ﴿فيها تحيون﴾، [1] فخصص حياة الناس بالأرض كما خصص موهم بالثرى. أتتركون كلام الله وشهادة نبيه وتتبعون أقوالا أخر؟ بئس للظالمين بدلا!

أيها الناس.. قد أعثرني الله على هذا السر وعلّمني ما لم تعلموا، وأرســلني إلــيكم حكما عدلا، لأكشف عليكم ما كان عليكم مســتترا. فلا تماروا ولا تجادلوا، وتدبروا في قوله: ﴿يا عيسى إني متوفــيك﴾، واقرؤوا هذه الآية إلى قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ثم أَمعِنوا الــنظر يــا أولي النهى! وانظروا كيف افتتح الله من وفاة المسيح، وذكــر كل واقعة بترتيب طبعي تتعلق بعيسى، حتى اختتمها على يوم القيامة، ولم يذكر من نزول المسيح في هذه السلسلة شيئًا، وما أحــدث في هــذا الأمر ذكرا. وما كان نزوله عند الله إلا نزول إراداتــه وتوجهاته على المظهر الذي قام مقامه وقرب به استعدادًا ودنــا. فلَوّنــه بلونه، وصَبّغه بصبغه، حتى صار المظهر مستغرقًا مغمــورًا في معنى الاتّحاد، وشابه عينَ أصلِه في القُوى، وتقاربت مداركــه بمداركه، وأخلاقه بأخلاقه، وجوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعــته، حتى صارا كشيءٍ واحدٍ، وكان اسمهما واحدًا في الملأ الأعلى.

[1] *سورة الأعراف:* ٢٦

وإن اشتقتَ أن تكتنه حقيقةَ هذا السرّ، وتطلّع على أسبابه على وجه أظهرَ وأَجْلَى، فأَصْغِ أبيّن لك ما علّمني ربي في هذا الأمر من أسرار الهدى. وهي أن الله وجد في هذا الزمان غلبة المتنصّرين وضلالاتهم إلى الانتهاء، ورأى أنهم ضلّوا وأَضلّوا خَلقًا كثيرًا، ونَجّسوا الأرضَ بشركهم وكفرهم، وأكثروا فيها الفسادَ، وأشاعوا في الناس كذبهم، وفريتهم وتلبيساتهم، وفتحوا أبواب المعاصي والهوى. ففارت غيرة الله تعالى عند رؤية هذه الفتنة العُظمى. فأنبأ الرَّبّ الغيور كَلمتَه ونبيَّه من فتن أُمّته ومما أفسدوا في الأرض ومما يصنعون صُنْعا. وكان هذا الإخبار من سنن الله ولن تجد لسنن الله تَحوّلا ولا تبديلا. ولما سمع المسيح أن أُمته أهلكَتْ أهل الأرض وأرادت أن يستفزّهم جميعًا، وبَغتْ أمام ربّها بغيًا كبيرا، فكثر كربه وقلقه حسرةً على أُمّته، وأخذه حزن ووَجدٌ كمثل الذي يهمّه إغاثة الملهوفين أو يجب عليه إعانة المظلومين، واستدعى من الله نائبا، وقضى أن يكون نائبه متحدًا بحقيقته ومتشابهًا بجوهره، ومقيمًا في مقام جوارحه لإتمام مراداته، ومظهرًا لظهور إراداته، فصرف لهذه المُنْية عِنان التوجه إلى الثرى. فاقتضى تدبير الحق أن يهب لــه نائبًا تنطبع فيه صورتُه المثاليةُ كما تنطبع في الحياض صُور النجوم من السماوات العُلى. فأنا النائب الذي أرسلني الله في زمان غلبة التنصّرِ غيرةً من عنده، وإراحةً لروح

المسيحِ، ورأفةً بعامة خَلقه، وترحّمًا على حال الورى. فجئت من الله لأكسر الصليب الذي أُعلِيَ شأنُه، وأقتل الخنزير فلا يُحيا بعده أبدا. واختارني ربي لميقاته، إن ربي لا يُخلف ميعاده ولا ينقض عهدا. وقد كان وعده إرسالَ المسيح عند تطاول فتنة الصليب وغلبة الضلالات العيسائية، وإن كنتم في شك مما قلنا فتدبّروا في قول نبيه.. أعني قوله: "يكسر الصليب"، يا أرباب النُهى. وافتحوا أعينكم وانظروا نظرًا غامضًا إلى زمانكم وإلى قومٍ جاءوا بفتن عظيمة، ثم اشهدوا لله.. هل أتى وقت قدومِ كاسرِ الصليب أو ما أتى؟

والله، إني قد أُرسِلتُ من ربي، ونُفِث في روعي من روع المسيح، وجُعلتُ وعاءً لإراداته وتوجهاته، حتى امتلأت نفسي ونسمتي بها، وانخرطتُ في سلك وجوده، حتى تراءى شَبَحُ رُوحِه في نفسي، وأُشْرِبتُ في قلبي وجودَه، وبرق منه بارقٌ فتلقّتْه روحي أتم تلقٍّ، ولصقت بوجوده أشدَّ مما يُخيل، كأني هو، وغبت من نفسي، وظهر المسيح في مرآتي وتجلّى، حتى تخيّلتُ أن قلبي وكبدي وعروقي وأوتاري ممتلئة من وجوده، ووجودي هذا قطعة من جوهر وجوده، وكان هذا فعل ربي تبارك وتعالى. وكان هو في أوّل أمري قريبًا مني كالبحر من القاربِ، ثم دنا فتدلى، فكان مني بمنزلة الماء في القربة، وتموج في جسدي روحه، فصرتُ

كشـــيء لا يُرَى. ووجدته كقَنْد اختلط بماءٍ لا يتميز أحدهما من الآخـــر، وأدركتُ بحاسة روحيٍ أنه اتّحد بوجودي، وصرت في نفســه ملتفّا، وصرنا كشيء واحد، يقع عليه اسم واحد، وغابت طينتي في طينته العُليا. هذا ما عُلّمناً من رَبّنا، فاقضِ ما أنتً قاض، واتق الله، ولا تُخلد إلى أهواء الدنيا.

وأمـــا الكـــلام الـــكُلّي في هذا المقام، فهو أن للأنبياء الذين ارتحلـــوا إلى حظـــيرة القُدس تدلّيات إلى الأرض في كل بُرهةٍ من أزمـــنةٍ يُهيج الله تقاريبها فيها، فإذاً جاء وقت التدلّي صرفً الله أعينهمٍ إلى الدنيا، فيجدون فيها فسادًا وظلمًا، ويرون الأرض قد مُلئت شرًّا وزورًا، وشركا وكفرًا، فإذا ظهر لأحد منهم أن تلك الشـــرور والمفاسد من بغي أمّته، فيضطر روحه اضطرارًا شديدًا، ويدعـــو الله أن يُنـــزله على الأرض ليهيئ لهم من وعظه رشدا. فـــيخلق لـــه الله نائبا يشابهه في جوهره، وينـــزل روحه بتنـــزيل انعكاســـي على وجود ذلك النائب، ويرث النائب اسمه وعلمه، فـــيعمل على وفق إراداته عملا. فهذا هو المراد من نزول إيليا في كتـــب الأوّلـــين، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور نبينا محمد ﷺ في المهـــدي خُلقًـــا وسيرة. وما من محدَّث إلا له نصيبٌ من تدلّيات الأنبـــياء، قليلا كان أو كثيرًا. ومن تجرَّدَ عن وسخ التعصّبات فلا يتردّد في هذا، ويجد السّنة والكتاب مبيّنَينِ لها.

أيها الأعزةُ.. إن حضرة الله تعالى حضرةٌ عجيبةٌ، وفي أفعال الله أســـرارٌ غريبةٌ، لا يبلغ فهم الإنسان إلى دقائقها أصلا. فمن تلك الأســـرار تمثُّل الملائكة والجنِّ، ومنها حقيقة نزول المسيح التي دقّ فهمُها وعسُر اكتناهُها على أكثر الناس، فلا يفهمون الحقيقة، ولا أرى في فطـــرتهم إلا غضبا. والأصل الكاشف في ذلك كلام الله تعالى، فانظروا إلى القرآن الكريم كيف يبيّن معنى النـــزول في آياته العظمى. وتدبروا في قولـــه تعالى: ﴿وأنزلْنا الحديد﴾،❶ وفي قوله عـــز اسمـــه: ﴿قد أنزلْنا عليكم لباسًا﴾،❷ وفي قولـــه جل شأنه: ﴿وأنـــزلَ لكـــم من الأنعام﴾،❸ وفي قولـــه جلت قدرته: ﴿وما ننـــزّله إلا بقدرٍ معلوم﴾،❹ وفي أقواله الأخرى. وأنتم تعلمون أن هـــذه الأشياء لا تنـــزل من السماء بل تحدث وتتولّد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف علـــيكم أن حقـــيقة نزول المسيح من هذه الأقسام الذي ذكرناه ههنا، فتدبروا في قولنا وأمعنوا نظرا. وما ينبغي أن يكون اختلاف في كلام الله تعالى، ولن تجدوا في معارفه تناقضا.

والقول الجامع المهيمن الذي يهدي إلى الحق، ويحكم بيننا وبين قومـــنا آيـــةٌ جليلة من سورة "الطارق" تُذكّر سرًّا غفلوا منه أهلُ الهـــوى.. أعني قوله تعالى: ﴿والسماءِ ذات الرجع والأرض ذات

---

❶ *سورة الحديد:٢٦* ❷ *سورة الأعراف:٢٧* ❸ *سورة الزمر:٧* ❹ *سورة الحجر:٢٢*

الصـــدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كـــيدًا﴾[1]. فاعلموا أيها الأعزّة أن هذه الآية بحر مَوّاجٌ من تلك الأسرار، ما أحاطتها فكر من الأفكار، وما مسّتها مُدرِكةُ الورى. وفَهّمني ربي أسرار هذه الآية واختصّني بها، وتفصيله أن الله تعالى أشـــار في هـــذه الآيـــة إلى أن السماء مجموعة مؤثرات والأرض مجموعـــةُ متأثرات، وينـــزل الأمرُ من السماء إلى الأرض، فتلقَّتْه الأرضُ بالقبول ولا تأبى. وفي هذا إشارةٌ إلى أن كل ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم والملائكة وأرواح المقدسين من الرسل والنبـــيين والصديقين وغيرهم من المؤمنين.. يلقي أثره على ما في الأرض بمناســـبات قَضَتْ حكمةُ القُدس رعايتَها. فالسماء تتوجَه إلى الأرض بأقســـامٍ غير متناهية من النـــزول والرجع، والأرض تتقبلها بالانصداع والإيواء بأقسامٍ لا تعدّ ولا تُحصى. فمن أقسام نتائج هذا الرجع والصدع أشياء تحدث في طبقات الأرض كالفضة والذهب والحديد وجواهرات نفيسة وأشياء أخرى. ومن أقسامه الـــزروع والأشـــجار والنباتات والثمار والعيون والأنهار وكل ما تتصـــدع عنه الثرى. ومن أقسامه جمال وحميرٌ وأفراس وكل دابةٍ تدب على الأرض وكل طير يطير في الهواء. ومن أقسامه الإنسانُ الذي خلق في أحسنِ تقويم وفُضّل على كل من دبّ ومشى. ومن

[1] *سورة الطارق: ١٢ - ١٧*

أقسامه الوحي والنبوة والرسالة والعقل والفطانة والشرافة والنجابة والسفاهة والجهل والحمق والرذالة وترك الحياء. ومن أقسامه نزول أرواح الأنبياء والرسل نزولا انعكاسيًّا على كل من يناسب فطرتهم ويشابه جوهرهم وخلقتهم في الخلق والصدق والصفاء. ومن ههنا ظهر أن تأثيرات النجوم ثابتة متحققة منصوصةٌ، ولا يشك فيها إلا الجــاهل الغــبي البليد الذي لا ينظر في القرآن ويجادل كالأعمى. وهذا الرجع والصدع جارٍ في السماوات والأرض من يوم خلقهما الله وقــال ﴿ائتِــيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾[1]. فمالت السماء إلى الأرض كالذكر إلى الأُنثى، ولأجل ذلك اختار الرب الكريم لفظ الرجع للسماء، ولفظ الصدع للأرض، إشارة إلى أنهما تجــتمعان دائما كاجتماع الذكور والإناث، ولا تأبى إحداهما من الأخرى ولا تطغى. فتأثيرات السماء تنــزل ثم تنــزل، والأرض تقبلها ثم تقبل، ولا تنقطع هذه السلسلة الدوريّة طرفةَ عين، ولو لا ذلك لفسدت الأرض وما فيها.

وقال الله تعالى في أوّل هذه الآية: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾[2]، وقال بعد ذلك: ﴿والسمآء ذات الرجع﴾، فما أدراك أنه في جمع ذكــر الرجعين إلى ما أومى؟ فاعلم أنه أشار إلى أن عَود الإنسان

---

[1] *سورة فصلت: ١٢*

[2] *سورة الطارق: ٩*

بالبعث بعد الموت في قدرة الله تعالى، كما أنه يعيد أرواح المقدسين بإعادات انعكاسية من السماء التي هي ذات الرجع، إلى الأرض التي هي ذات الصدع ومولد كل من يحيا. وهذه نكتة عظيمة لطيفة عُضَّ عليها بنواجذك، وخُذْها بقوة، هداك الله خير الهدى. هذا سِرّ النزول الذي فيه يختلفون، أمر من عنده ليقضي أمرًا قدر وقضى.

واعلموا أن لله تعالى عند ذكر أنباء الغيب ألسنة شتّى. فتارة ينبئ في ألفاظ مصرّحة للحقائق المقصودة، ويُري سقياها ومرتَعَها، ويبدي ما قصد وعنى. وتارة ينطق بلسان التجوز والاستعارة، ليُخفي الأمر ويبتلي الناس بها. وقد جرت عادته وسنته أنه يختار الإخفاء والكتم في واقعات قضت حكمته إخفاءها، ويخلق الأهواء، فتُحشَر الآراء إلى جهات أخرى. وإذا أراد إخفاء صورة نفس واقعة فربما يري في تلك المواضع الواقعةَ الكبيرة صغيرةً مهونة، والواقعة الصغيرة المسنونة كبيرة نادرة، والواقعة المبشرة مخوّفة، والواقعة المخوفة مبشرة. فهذه أربعة أقسام من الواقعات من سنن الله كما مضى.

أما الواقعة الكبيرة العظيمة التي أراد الله أن يريها صغيرة حقيرة فنظيرها في القرآن واقعة بدر لمن يتدبر ويرى. فإن الله قلّل أعداء

الإســـلام ببدر في منام رسوله ليذهب الروع عن قلوب المسلمين، ويقضي ما أراد من القضاء.

وأمـــا الواقعـــة التي أراد الله أن يريها كبيرة نادرة فنظيرها في القـــرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنه تعالى وعد في القرآن للمؤمنين وبشرهم بأنه يُمِدُّهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلا لهم بشرى، لأن فردا من الملائكة يقدر بإذن ربه على أن يجعل عـــالي الأرض ســـافلها، فما كان حاجة إلى خمسة آلاف بل إلى خمسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظًا يُفهَم مـــن ظاهره كثرة الممدين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعـــد فـــتح بدر أن عِـــدّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظـــهـــا، بـــل كانـــت مؤوَّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفع والأعـــلى. وفعل كذلك.. لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيدهم حسن الظن والرجاء.

وأما الواقعة المبشرة التي أراد الله أن يريها مخوفة، فنظيرها في القرآن واقعـــة رؤيـــا إبراهيم بارك الله عليه وصلى. إنه تعالى لما أراد أن يـــتوب عليه ويزيده في مدارج قربه ويجعله خليله المجتبى.. أراه في الرؤيا بطريق التمثل كأنه يذبح ولده العزيز قربانًا لله الأعلى. وما كـــان تأويله إلا ذبح الكبش لا ذبح الولد، ولكن خشي إبراهيم

عليه السلام ترك الظاهر فقام مسارعا لطاعة الأمر، ولذبح الولد سعَى. وما كانت هذه الواقعة مبنية على الظاهر الذي رأى، ولو كان كذلك للزم أن يقدر إبراهيم على ذبح ابنه كما رآه في الرؤيا ولكن ما قدر على ذبحه، فثبت أن هذه الواقعة كان له تأويل آخر ما فهم إبراهيم عليه السلام، وكيف يفهم عبد شيئًا ما أراد الله تفهيمه، بل أراد أن يسبل عليه سترا؟ وأنت تعلم أن كذب الرؤيا ممتنع في وحي الأنبياء. فاعلم أن ذبح الابن في حلم إبراهيم ما كان إلا بسبيل التجوز والاستعارة ليخوفه الله رحمة من عنده، ويري الخَلْقَ إخلاصه وطاعته للمولى، وليبتلي إبراهيم في صدقه ووفائه، وانقياده لربه، فما لبث إبراهيم إلا أن تَلَّ الولد العزيز للجبين ليذبحه. رب فارحَمْ علينا بنبيك وإبراهيم الذي وفّى.. الذي رأى بركاتك ولقي خيرا وفَلْجا.

ويشابه هذه الواقعة واقعة الدجال، فإنها جُعلت مخوِّفةً مهيبة، وشُدِّد فيها ومُلِئَ الرعب فيها، وأُعلي أمرها إلى الانتهاء، وما هي إلا سلسلة مُلتئمة من هممٍ دجالية، وما فيها من الألوهية رائحة، ولا من صِفات الله نصيبٌ، إن هي إلا سلسلة الفتن والمكايد ودعوات الضلالة، ابتلاءً من الله الأغنى. وكيف يمكن أن يحدث شريك البارئ، ويتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وتكون معه جنة ونار، وجميع خزائن الأرض، ويطيع أمره سحاب السماء

ومـــاء الـــبحر وشمس الفَلك، ويحيي ويميت؟ سبحانه لا شريك لـــــه.. تقـــدس وتعالى. كلا.. بل هي استعارة لطيفة مخبرة من وجـــود قوم يعلُون في الأرض ومن كل حدب ينسِلون. وهم قوم النصـــارى الذين لهم سابقة في التلبيس وعجائب الصنع، وعمروا الأرض أكثر مما عمرت من قبل، وترون في أعمالهم الخوارق كأنهم يســـحرون. أخَـــذ الخَلْقَ حيرة من إيجاداتهم، ونوادر صناعاتهم، وأضـــلوا خلقا كثيرا مما يصنعون ومما يمكرون. أحاطت تلبيساتهم على الأرض، ونجّسوا وجهها، وأخلطوا الباطل بالحق، ويَدْع ون الـــناس إلى الشرك والإباحة والدهرية، وكذلك يفعلون. وكيف يمكن أن يحدث الدجال من قوم اليهود وقد ضربت الذلّة والمسكنة علـــيهم إلى يوم القيامة، فهم لا يملكون الأمر أبدا ولا يغلبون. ألا تقرؤون وعد الله.. أعني قوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾[1]. ألا تتفكرون؟ ألا تتدبّرون في القرآن كيف وضع كل غـــير الله تحت أقدامنا وبشرنا بعلو كلمة التوحيد إلى يوم القيامة، فكيف يزيغ قلوبكم وتؤمنون بما يعارض القرآن وتلحدون؟ أيجعل الله لذاته شريكا في آخر الزمان ولو إلى أيام معدودات؟ ألا ساء ما تحكمون!

---

[1] *سورة آل عمران: ٥٦*

وأما الواقعة المسنونة المعلومة التي أراد الله أن يُريه* غريبة نادرة فـنظيره * في القرآن واقعة حلم فرعون، إذ قال: ﴿إني أرى سبعَ بقـرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سنبلات خضرٍ وأُخرَ يابساتٍ يا أيها الملأ أفتُوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبُرون﴾،[1] وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.[2] فهذه النظائر حاكمـة بينـنا وبين قومنا، وبيانٌ شاف فيما كانوا فيه يختلفون. ويشابهها واقعة نزول المسيح.. أخفاها الله كما أخفى هـذه الواقعات بالاستعارات، فافهموا إن كنتم تفهمون. ما كان من سنن الله أن يَكشط أنباءه في كل وقت وزمان، بل ربما يبتلي عـباده في بعض الأزمنة، ويكتم أنباءه ويومي إلى أسرار وهم لا يشعرون.

وأمـا الواقعة التي هي غريبة نادرة، وأراد الله أن يريها مفهومة معلومـة، فـنظيرها في القرآن ما أخبر الله تعالى من آلاء الجنـة وأنهارها، وألبانها وأشجارها وثمارها، ولحوم طير مما يعرفونه الخلق ويشـتهون. يخفي ما يشاء ويبدي.. وفي كل فعله مصالح وحكم

*كذا ورد في الأصل

[1] سورة يوسف:٤٤

[2] سورة يوسف:٥

وابتلاءات، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظواهر الشريعة وقشـــورها، وهم عن لبوبها غافلون. وإذا كُشف عليهم مِن سرٍّ فتزدري أعينهم ويظنون ظن السوء ويكفرون.

وقالوا كيف تواردت أمةٌ على خطأ، وكيف نظن أنهم أخطأوا كـــلهم وأنـــتم المصيبون؟ يا حسرة عليهم! لم لا يعلمون أن الله غالـــب عـــلى أمره، فإذا أراد أن يخبئ شيئا فلا يفهمه الفَهِمون. ويقـــرؤون سُنَنَه في القرآن ثم يغفلون. ألا يعلمون أن الله قد يخفي أمـــرًا على المقربين من الأنبياء فهم بإخفائه يبتلون؟ وما كان لأمة أن تسبق الأنبياء في فهمها، وما كان الله أن يترك قومًا بغير ابتلاء، ﴿أحسِب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون﴾[1]. إن الله يبتلي كل أمة بأنبائه الغيبية، وقد ابتلى الفاروق وأمثاله، أ أنتم مـــنهم تزيدون؟ ما لكم لا تخافون ابتلاء الله ولا تخشون؟ لعل نبأ نزول المسيح يكون فتنة لكم، ما لكم لا تتقون؟ أ أنتم أسلم فهمًا مـــن الذيـــن خلوا من قبل، أم لكم براءة من فتن الله، ما لكم لا تـــتفكرون؟ وقد مضت ابتلاءات قبل هذا، فطوبى لقوم يفتحون الأبصار ويعتبرون.

وقـــالوا كـــيف نؤمن بهذا المسيح وقد بشر لنا أنه ينـــزل عند مـــنارة دمشق، وأنه يقتل الدجال، ويحارب الأعداء فهم يهزمون.

---

[1] *سورة العنكبوت:* ٣

وكذلك ينتضون حججا مغشوشة، ولقد ضل فهمهم فهم مخطئون. ألا يعلمون أن المسيح الموعود يضع الحرب؟ ألا يقرؤون الصحيح للبخاري أو ينسون؟ ومن أين نُبُّوا أن المسيح ينزل بدمشق التي هي قاعدة الشام، وبأي دليل يوقنون؟ أ سار معهم رسول الله ﷺ إلى دمشق، وأراهم منارة وموضع نزول، أو أراهم صورها في شقّة من قرطاس، فهم يعرفونها ولا ينكرون؟ أو هي مصرٌ أفضلُ من الحرمين ولها فضيلة على قرى أخرى ويسكن فيها الطيبون؟

وما يغُرّنهم ما جاء في أحاديث نبينا ﷺ لفظُ دمشق، فإن له مفهوما عاما، وهو مشتمل على معان كما يعرفها العارفون. فمنها اسم البلدة، ومنها اسم سيد قوم من نسل كنعان، ومنها ناقة وجمل، ومنها رجل سريع العمل باليدين، ومنها معان أخرى. فما الحق الخاص للمعنى الذي يصرون عليه وعن غيره يعرضون؟

وكذلك لفظ المنارة التي* جاء في الحديث.. فإنه يعني به موضع نور، وقد يطلق على علَمٍ يُهتدى به. فهذه إشارة إلى أن المسيح الآتي يُعرَف بأنوار تسبق دعواه، فهي تكون له كعلم به يهتدون.

* سهو، والصحيح: الذي.

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ [1]. فكما أن السراج يعرف بإنارته كذلك المسيحُ يعرف بمنارته.

وما ثبت وجود منارةٍ في شرقي دمشق على عهد رسول الله ﷺ، وما أومأ إليه إذاً لارتاب المبطلون، بل هي استعارات مسنونات يعرفها الذين أوتوا العلم، وما يجادل فيها إلا الظالمون. أفلا يدّبرون سنن الله أم جاءهم ما لم يأت من قبل فهم له منكرون؟ وأي سر كان في تخصيص بلدة دمشق ومنارتها؟ فبيّنوا لنا إن كنتم تتبعون أسرار الله ولا تلحدون. أتعجبون من هذه الاستعارة ولا تعلمون أن الاستعارات حُلل كلام الأنبياء، فهم في حلل ينطقون؟ اذكروا قول إبراهيم عليه السلام.. أعني قوله: "غَيِّرْ عَتَبةَ بابك"، ثم انظروا إلى إسماعيل عليه السلام كيف فهم إشارة أبيه. أفهم من العتبة عتبةً أو زوجة؟ فتفكروا أيها المسلمون. وانظروا إلى الفاروق رضي الله عنه كيف فهم من كسر الباب موته، لا كسر الباب حقيقةً؟ وإن شئتم فاقرؤوا حديث حذيفة في الصحيح للبخاري لعلكم تهتدون.

وقالوا إن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت خروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وما نرى أحدا منهم خارجا، فكيف يجوز أن يستقدم المسيح وهم يستأخرون؟ أما الجواب، فاعلموا..

---

[1] *سورة الأحزاب: ٤٧*

أرشدكم الله تعالى.. إن هذان لاسمان لقوم تفرّق شعبهم في زماننا هـذا آخـرِ الزمان وهم في وصف متشاركون. وهم قوم الروس وقـوم الـبراطنة وإخوانهـم، والدجال فيهم فَيجُ قسيسين ودعاةُ الإنجيل الذين يخلطون الباطل بالحق ويدجلون. واعتدى* لهم الهند متكأ، وحقت كلمة نبينا ﷺ أنهم يخرجون من بلاد المشرق، فهم من مشرق الهند خارجون. ولو كان الدجال غير ما قلنا، وكذلك كـان قـوم يـأجوج ومأجوج غير هذا القوم، للزم الاختلاف والتناقض في كلام نبي الله ﷺ. وأيم الله إن كلام نبينا منـزه عن ذلك، ولكنكم أنتم عن الحق مبعدون.

ألا تقـرؤون في أصح الكتب بعد كتاب الله أن المسيح يكسر الصـليب؟ ففـي هذا إشارة بيّنة إلى أن المسيح يأتي في وقت قوم يعظّمـون الصليب.. ألا تفهمون؟ وقد تبين أنهم أعداء الحق، وفي أهوائهـم يعمهون. وقد تبين أنهم ملكوا مشارق الأرض ومغاربها ومن كل حدب ينسِلون. وقد تبينت خياناتهم في الدين وفتنهم في الشـريعة، وفي كـل ما يصنعون. أترون لدجالكم المفروض في أذهانكم سعةَ موطئِ قدم في الأرض ما دام فيها هؤلاء؟ فالعجب مـن عقلكم! من أين تنحتون دجالا غير علماء هذا القوم، وعلى أي أرض إيّـاه تسـلّطون؟ ألا تعلمون أن المسيح لا يجيء إلا في

* *سهو، والصحيح: أعتدتْ.*

وقـــت عبدة الصليب، فأنى تؤفَكون؟ ألا ترون أن الله تعالى مكّن هذه الأقوام في أكثر الأرض وأرسل السماء عليهم مدرارًا، وآتاهم مـــن كل شيء سببا، وأعانهم في كل ما يكسبون؟ فكيف يمكن معهـــم غيرهـــم الـــذي تظنون أنه يملك الأرض كلها؟ يا عجبا لفهمكم! أ أنتم مستيقظون أم نائمون؟ أنسيتم أنكم قد أقررتم أن المسيح يأتي لكسر الصليب؟ فإذا كان الدجال محيطًا على الأرض كلها، فأنى يكون من الصليب وملوكه أثر معه.. ألا تعقلون؟ ألا تعـــلمون أن هـــذان نقيضان فكيف يجتمعان في وقت واحد أيها الغافلون؟ وإن زعمتم أن الدجال يكون قاهرا فوق أرض الله كلها غير الحرمين، فأي مكان يبقى لغلبة الصليب وأهل الصليب، أ أنتم تثبـــتونه أو تشهدون؟ ما لكم لا تفهمون التناقض؟ وأفضَى بعض أقوالكـــم إلى بعـــض يخالفها، ودجلتم في أقوال رسول ﷺ ثم أنتم عـــلى صـــدقكم تحلفون. وتُضِلّون الذين ضعفوا قلبًا ولُبًّا وعقلا، وتزيّـــنون بـــاطلكم في أعينهم، وتزيدون على أقوال الله ورسوله وتنقصـــون. لن تستطيعوا أن ترفعوا هذه الاختلافات، أو توفّقوا وتطـــبّقوا ولو حرصتم، ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا، فلا تميلوا كل الميل إلى الباطل وأنتم تعلمون. وإن تقبلوا الحق وتتقوا فإن الله يـــتوب عليكم، ويغفر لكم ما قد سلف. فليتدبر أهل الحديث في هذا. ومن لم يهتد بعد ما هدي فأولئك هم الفاسقون.

أيهـــا الـــناس.. قد جاءت علامات آخر الزمان فلِمَ في مجيء المسيح تشكّون؟ تعالوا أتل عليكم بعضها لعلكم ترشدون. فمنها أن نـــار الفـــتن والضـــلالات قد حشرت الناس من المشرق إلى المغرب، وفي ذلك ذكرى لقوم يتقون. وأتى الإبليس من بين أيدي الناس، ومن خلفهم وعن شمائلهم، وأُبسِلوا بما كسبوا، وما عصم من فتنة الله إلا من رحم، وحال بينهم وبين إيمانهم موج الضلالات فهـــم مغرقون. وكثير منهم ازدادوا كفرا وعداوة بعد ما ارتدوا واعـــتدوا فـــيما يفترون. وجاهَدوا حق جهادهم أن يطفئوا نور الإســـلام، فمـــا اسطاعوا أن يضروه، وما استطاعوا أن يظهروه، ولمسوا كتاب الله فوجدوه مُلئت حججا بينة ونورا فرجعوا وهم خائـــبون. وإنـــه لكبير في أعين الذين يجادلون ظلمًا وعُلُوًّا ولكن الظالمين لا يخافون الله ولا يتركون دنياهم ولا يتقون. وذهب الله بنور قلوبهم وبصارة أعينهم بما فسقوا.. وتركهم في ظلمات فهم لا يبصـــرون. قلوبهـــم غُلْف، وأعينهم كالمرايا التي ما بقي صفاء فـــيها، ولا يعلمون إلا الأكل والشرب، وتركوا الله الوحيد، وهم عـــلى أندادهـــم عاكفون. كثرت فتنتهم، وزادت على المسلمين محنهم، وكلَّ يوم في ترعرُعٍ شجرتُهم، وفي تموّجٍ رَيعُهم وزيادتهم، وتَـــراءَوا من كل صَقْعة وفي دنياهم يزيدون. وترى الإسلام كقُفّةٍ مـــا لهـــا مـــن ثمرة، وأقفّتْ دجاجته وما بقي من بيضة، فليبكِ

الــباكون. ضـــاعت الأمانة وموضعها، ومُحِيَ أثر الديانة ورُفع شَــرْجَعها، ووئد العلم وخلا العالمون، وبقي العلماء كتنانين، لا يعــلمون الديانــة ولا الدين، وإلى الأهواء يأفَدون. والذين سموا أنفســهم مســلمين أكثرهم أمام رهم يفسقون. ويشربون الخمر ويــزنون، ويظلمون الناس وفي الشهادات يكذبون. وارتدعوا عن الطاعــات، ولا يــرفعون يدا إلى الصدقات، وإلى المنكرات هم باســطون. وهــذه الآفات كلها نزلت عليهم بعد ما نزلت علوم المغرب في قلوبهم، وحُرِّية التنصّر في بلادهم، فهم إليهم يُحْشَرون. وهــذا هــو النــبأ الذي قد بيّنه رسول الله ﷺ وأنتم تقرؤونه في صــحيح البخاري أو تسمعون. فانظروا إلى فتن العلوم المغربية.. كــيف تحشر الأحداث إلى المغرب.. وانظروا كيف صدّق الله نبأ رسوله أيها المؤمنون.

واعــلموا أن المراد من النار نار الفتن التي جاءت من المغرب، وأحرقت أثواب التقوى. فتارة توعدت السفهاء من لهبها، وأخرى زينت في أعينهم نورها، وراودتهم عن أنفسهم، فهم بها مفتونون. فــلا تفهمــوا من هذه الأنباء مدلولها الظاهر، ولا تعرضوا عما تشاهدون. واعلموا أن لكلمات رسول الله ﷺ شأنا أرفع وأعلى، ولا يفهمهــا إلا الذي رزقه الله رزقًا حسنا من المعارف، وأعطاه قلبًا يفهم، وعينًا تبصر، وأذنا تسمع، فهو على بصيرة من ربه، ولا

يلقاها إلا الذين ما بقي لهم عين ولا أثر وهم يفنون في رسول الله ﷺ بحيث يصير وجودهم منخلعا عن أحكامه، وبأحكام وجود النبي ينصبغون. فأولئك الذين يُملأ صدورهم من علم النبي، ويؤتون حظا من أنواره، ومن عينه يشربون. ويعطى لهم نصيب من صرافة العصمة والحكمة، ويسقون من كأس مزاجها من تسنيم، ويزكّون بجلال الله وسلطانه، وبحفظهم* يحفظون. ثم يرثهم السعيد الذي يستمع كلامهم بحسن الظن والقبول، ويتبعهم ويلزمهم، ويؤثر نفسهم لكسر سورة نفسه، ويغيب فيهم بمحبته، فيخرج كالدر المكنون. والحمد لله الذي جعلني منهم، فليمتحن الممتحنون.

لقد جئتهم بالحكمة والبصيرة من ربي، ولأبيّن لهم بعض الذي كانوا فيه يختلفون. وفرّقوا الإسلام وجعلوا أهله شيعا، وبعضهم على بعض يصولون ويكفرون. فالآن نناديهم في عَراء، فهل منهم مبارزون؟ وقد دعوناهم إلى المقاومة فهم عنها معرضون. أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون. أم يحسبون أن الله لا يميز بين الخبيث والطيّب.. ما لهم كيف يتفكرون؟ وإني أفوض أمري إلى الله، وأصفح عنهم فسوف يعلمون.

---

*سهو، والصحيح: وبحفظه.

ومـــن علامات آخر الزمان التي أخبر الله تعالى منها في القرآن واقعـــات نـــادرة تشاهدونها في هذا الزمان وتجدون. وقد بيّن لنا علاماته وقال: إذا الجبال سيِّرت، وإذا البحار فجِّرت، وإذا العِشار عطِّلـــت، وإذا النفوس زوِّجت، وإذا الصحف نُشرت. إذا زلزلت الأرض... الآية، وإذا الأرض مُدّت، وألقت ما فيها وتخلَّتْ، وإذا الكواكـــب انتثرت، وإذا الوحوش حُشرت. وفي كل ذلك أنباء آخر الزمان لقوم يتفكرون.

أمـــا تسيير الجبال فقد رأيتم بأعينكم أن الجبال كيف سيّرت وأزيلـــت مـــن مواضعها وخيامُها هدِّمت، وقُنونها لاقتِ الوِهاد وصفوفُها تقوضت، تمشون على مناكبها وتأفَدون.

وأمـــا تفجير البحار فقد رأيتم أن الله بعث قوما فجّروا البحار وأجرَوا الأنهار وهم على تفجيرها مداومون. وأحاطوا على دقائق علم تفجير الأنهار وأفاضوها على كل واد غير ذي زرع، ليعمروا الأرض ويدفعوا بلايا القحط من أهلها وكذلك يعملون، لينتفعوا من الأرض حق الانتفاع فهم منتفعون.

وأما تعطيل العشار فهو إشارة إلى وابور البر الذي عطّل العِشار والقِلاص فلا يُسعى عليها، والخلق على الوابور يركبون. ويحملون عليه أوزارهم وأثقالهم، وكطيٍّ الأرض من مُلك إلى ملك يصلون. ذلـــك مـــن فضـــل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا

يشـــكرون. جعـــل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوا أسراره، وفي آذانهـــم وقـــرا فهـــم لا يسمعون. وإذا وجدوا صنعة من صنائع الـــناس.. ولو من أيدي الكفرة.. يأخذونها لينتفعوا بها، وإذا رأوا صنعة رحمة من الله فيردّون.

وأمـــا تزويج النفوس فهو على أنحاء.. منها إشارة إلى التلغراف الـــذي يُمِدّ الناس في كل ساعة العسرة، ويأتي بأخبار أعزّة كانوا بأقصـــى الأرض، فينبـــئ من حالاتهم قبل أن يقوم المستفسر من مقامـــه، ويُدير بين المشرقي والمغربي سؤالا وجوابا كأنهم ملاقون. ويخـــبر المضطرين بأسرع ساعة من أحوال أشخاص هم في أمرهم مشـــفقون. فلا شك أنه يزوّج نفسَين من مكانين بعيدَين، فيكلم بعضهم بالبعض كأنه لا حجاب بينهم وكأنهم متقاربون.

ومـــنها إشـــارة إلى أمن طرق البحر والبر ورفع الحرج، فيسير الـــناس من بلاد إلى بلاد ولا يخافون. ولا شك أن في هذا الزمان زادت تعلقـــات البلاد بالبلاد، وتعارف الناس بالناس فهم في كل يـــوم يـــزوَّجون. وزوّج الله التجار بالتجار، وأهل الثغور بأهل الثغور، وأهل الحرفة بأهل الحرفة، فهم في جلب النفع ودفع الضرر متشـــاركون. وفي كـــل نعمـــة وسرور، ولباس وطعام وحبور، مـــتعاونون. ويُجلَب كل شيء من خِطّة إلى خطة، فانظر كيف زوّج الناس كأنهم في قاربٍ واحدٍ جالسون.

ومن أسباب هذا التزويج سير الناس في وابور البر والبحر، فهم في تلك الأسفار يتعارفون. ومن أسبابه مكتوبات قد أُحسنت طرق إرسالها، فترى أنها ترسل إلى أقاصي الأرض وأرجائها، وإن أمعنت النظر فتعجبك كثرة إرسالها، ولن تجد نظيرها في أول الزمان، وكذلك تعجبك كثرة المسافرين والتجارين. فتلك وسائل تزويج الناس وتعارفهم، ما كان منها أثر من قبل وإني أنشدتُكم الله.. أرأيتم مثلها قبل هذا أو كنتم في كتب تقرؤون؟

وأما نشر الصحف فهو إشارة إلى وسائلها التي هي المطابع، كما ترى أن الله بعث قومًا أوجدوا آلات الطبع، فكأين مِن مطبع يوجد في الهند وغيره من البلاد. ذلك فعل الله لينصرنا في أمرنا، وليشيع ديننا وكتبنا، ويبلغ معارفنا إلى كل قومٍ لعلهم يستمعون إليه ولعلهم يرشدون.

وأما زلزلة الأرض وإلقاؤها ما فيها فهي إشارة إلى انقلاب عظيم ترونه بأعينكم، وإيماء إلى ظهور علوم الأرض وبدائعها وصنائعها، وبدعاتها وسيئاتها، ومكايدها وخدعاتها، وكل ما يصنعون.

وأما انتثار الكواكب فهو إشارة إلى فتن العلماء وذهاب المتقين منهم، كما أنكم ترون أن آثار العلم قد امتَحتْ وعفَتْ. والذين كانوا أوتوا العلم فبعضهم ماتوا وبعضهم عمُوا وصمّوا، ثم تاب

الله علـــيهم ثم عموا وصموا، وكثير منهم فاسقون، والله بصير بما يعملون.

وأمـــا حشر الوحوش فهو إشارة إلى كثرة الجاهلين الفاسقين، وذهـــاب الديانة والتقوى، فترون بأعينكم كيف نزَح بِيرُ الصلاح وأصبح ماؤه غورا، وأكثر الخَلق يسعون إلى الشر وفي أمور الدين يُدهِنون. إذا رأوا شرًّا فيأخذونه، وإذا رأوا خيرًا فهم على أعقابهم ينقلَــبون. ينظرون إلى صنائع الكفرة بنظر الحب، وعن صنع الله يعرضون.

أيها الناس.. انظروا إلى آلاء الله.. كيف جدّد زمنكم، وأبدعَ هيـــئةَ دهــــركم، وأتـــرعَ فيه عجائب ما رأتها أعين آبائكم ولا أجدادكـــم، وأنـــتم بها تُترَفون. وعلّم أهلَ أروبا صنعةَ وابور البرّ إهداءً لكم ولعشيرتكم لعلكم تشكرون. انظروا إليها كيف تجري بأمــــره في البراري والعمران، تركبونها ليلا ونهارا، وتذهبون بغير تعب إلى ما تشاءون. وكذلك فهّم أهلَ المغرب صنائع دون ذلك من آلات الحرث والحرب، والعمارات والطحن واللبوس، وأنواع أدوات جـــر الثقـــيل، وما يتعلق بتزيينات المدن والمنازل وتسهيل مهماتهـــا، فأنتم ترغبون فيها وتستعملون. وتجدون في كل شهر وســـنة مـــن إيجادات غريبة نادرة، لم تر عينكم مثلها، فمنها ما يُمِدُّكـــم في عيشتكم، وتنجيكم من شِقّ الأنفس، كصناديق طاقة

الكـــبريت التي بها توقدون، وكزيت الغاز الذي منه مصابيحكم تـــنيرون. ومـــنها صـــنائع هـــي زينة بيوتكم، فتأخذونها وأنتم مستبشرون.

فانظـــروا وتفكروا.. إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم مـــن كـــل نوادر الأرض وأملأ بيوتكم منها، فكيف تعجبون من نزول نوادر السماء وتستبعدون؟ وتسرّون بأشياء دنياكم التي هي أيـــام معدودات، ولا تنظرون إلى زاد عقباكم ولا تبالون. وكيف تعجـــبون مـــن نزول المسيح وأيام الفضل الروحاني، وأنتم ترون عجائـــب فضـــل الله قد تجلت لإراحة أجسامكم بصور جديدة، وحلل نادرة، ما تجدون مثلها في أيّام آبائكم. أ فتؤمنون بعجائب الكفـــار وبفعل الله تكفرون؟ وتيئسون من قدرة الله، ومن قدرة الخلق لا تيئسون؟ ما لكم لا تعرفون أفعال الله النادرة ببعض أفعاله التي تعرفونها وتشاهدون؟ أ كنتم مطلعين من قبل على هذه النوادر التي ظهرت في زمانكم من وابور البر والتلغراف وصنائع أخرى. كانـــت هـــي كلها مكتوبة في القرآن ولكنكم كنتم لا تفهمون، وكذلـــك مـــا فهمتم سر نزول المسيح من غرارتكم، وقد كان مكتوبا في كتاب الله. وما كان لبشر أن يفهم شيئا قبل تفهيم الله، ولو كان النبيون.

والعجب كل العجب منكم أنكم لا تظهرون كراهة في قبول صناعات جديدة مفيدة لأجسامكم، ولكن إذا دعوتكم إلى صنع الله الذي أتقن كل شيء، ورأيتموه في أعينكم غريبا نادرا، فأظهرتم كراهة وسخطة، وأبيتم وأنتم تعلمون.

أيها الناس.. ما جئت بأمر منكر، وقد شهد الله على صدقي، ورأيتم بعض آياتي، ووجدتم ذكر زمني في كتاب الله الذي به تؤمنون. والله نكّر الأمر في أعينكم ليبتلي علمكم وتقواكم، فاغترّت فتنتُه وأنتم غافلون. أيها الإخوان! خذوا كتاب الله بأيديكم ثم تدبروا فيه.. هل جاء وقت آخر الزمان أو في مجيئه حقب وقرون؟ إنكم تعلمون أن المسيح يأتي في آخر الزمان، وقد رأيتم بأعينكم علاماته، وشاهدتم النوادر الأرضية التي جعلها القرآن الكريم من آثار الزمن المتأخر، وأنتم منها تنتفعون. فما لكم لا تؤمنون بالنوادر السماوية التي تدل عليها الآية الكريمة.. أعني بذلك قوله تعالى: ﴿إذا السماء كُشطتْ﴾،[1] وتُخلدون إلى الأرض ومن آلاء السماء تبعدون؟

[1] *سورة التكوير: ١٢.*

وقد بشر الرب الكريم في هذا الأمر بشارة أخرى بقوله: ﴿وإنا لـــه لحـــافظون﴾[1] ولكـــن تنسون بشارات ربكم وفي آياته تُلحدون.

اعـــلموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقهما الله، فكُشطت السماء بأمره وصدعت، ونـــزلت نوادر وخرجت، ليبتلي الله عباده إلى أيّ جهةٍ يميلون. وتقدمت نوادر الأرض على نـــوادر السماء، فاغتر الناس بصنائعها وعجائب علومها وغرائب فـــنونها، وكـــادوا يهلكون. فنظر الرب الكريم إلى الأرض ورآها مملـــوءة من المهلكات، ومترَعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بـــنوادرها، ورأى المتنصرين أنهم ضلوا ويُضِلّون، ورأى فلاسفتهم اختلـــبوا الـــناس بعلومهم ونوادر فنونهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واســـتيفاء اللـــذات، والتحقوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهـــم وأكابـــرهم، وأُشربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعـــة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لـــه لحـــافظون﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلا منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نوادر النكات والعلوم والتأييدات

[1] *سورة الحجر: ١٠.*

مـــن السماء، ليكسر بها نوادرَ المتنصرين وصليبهم، ويحتقر أدبهم وأديـــبهم، ويدحـــض حجتَهم، ويفحم بعيدهم وقريبهم. فمظهر نوادرِ الأرض وفتنِها هو الذي سمي بالدجال المعهود، ومظهر نوادر الســـماء وأنوارِها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمانِ تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون.

فالآية الأولى من آيات صدقي أني أرسلت في وقت هذه الفتن التي قد أشار كتاب الله إليها. فأنزلني ربي من السماء كما أخرج الفتن من الأرض، وتكلم في استعارات وأيّدني كما أُيّد الصادقون. انظـــروا إلى الأيـــام التي كانت قبلكم من اليوم التي خلق الله فيه الإنســـان.. هل شاعت وغلبت مثل هذه الفتن العظيمة على وجه الأرض؟ أو هـــل سمع نظيرها ونظير نوادرها في شيع الأولين؟ فما لكـــم لا تتفكرون؟ أما ترون كيف تُرَدّ آيات الله بأقوال الفلاسفة وتســـتهزأ بها، وتكتب في ردها ألوف من كتب، هل سمعتم مثلها مـــن قبل أيها المؤرخون؟ هل سمعتم من قبلُ توهينَ الرسول الكريم وسَـــبَّه وطعنًا في دينه، والضحك عليه، كما أنكم في هذا الزمان تسمعون؟ أو هل سمع أحد من الأولين ازدراء كتاب الله واحتقار رسوله بألفاظ شنيعة مؤلمة كما تسمعها آذانكم؟ فلم تعجبون من رحمة الله في هذا الطوفان أيها النائمون؟ ألا ترون كيف يسخرون

مـــنكم ومـــن دينكم؟ سخرِ الله منهم وأصمّهم وأعماهم فهم لا يُبصرون.

أيها الأعزة.. هل أتى زمان على أحد كما أتى عليكم؟ سمعتم مـــن أهل الكتاب أذًى كثيرا وسبقوا في الافتراء والسبّ والإيذاء، وصُبّت على الإسلام مصائب. ترتَع الحمير في مرعى الخيل، وترثَع الكلاب على الغِيل بشدة الميل، فأي زمان بعد ذلك تنتظرون؟

ومن آيات صدقي أنه تعالى وفّقني باتباع رسوله واقتداء نبيـــه ﷺ، فما رأيت أثرا من آثار النبي ﷺ إلا قفوته، ولا جبلا من جبال المشكلات إلا علوته، وألحقني ربي بالذين هم ينعمون.

ومن آيات صدقي أنه أظهرني على كثير من أمور الغيب، وهو لا يظهر على غيبه أحدا إلا الذين هم يرسلون.

ومـــن آيات صدقي أنه يجيب دعواتي، ويتولى حاجاتي، ويبارك في أفعالي وكلماتي، ويوالي من والاني، ويعادي من عاداني، وينبئني مما يكتمون. وإنه سمع كثيرا من بكائي، ورفعني إذا خررت أمامه، وأجـــاب أدعيةً لا أستطيع إحصاءها، وأحسن مثواي ومنّ علي بآلاءٍ ليست لي ألفاظ لبيـــانها، وأتمَّ عليّ رحمته في الدنيا والآخرة، وجعلـــني مـــن الذين ينصرون. وخاطبني وقال: "يا أحمدي، أنت مـــرادي ومعي. أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي. فحان أن تُعـــان وتُعـــرف بين الناس. أنت مني بمنـــزلة لا يعلمها الخلق".

فكلّمـــني بكلمات لو كانت لي الدنيا كلها ما أسرّني كما أسرّتني هـــذه الكـــلمات المحبوبة. فروحي فداءُ سبيله، هو وليي في الدنيا والآخرة. ما أصابني ظمأ ولا نصب ولا مخمصة إلا أتاني لنصرتي، وأرى آلاءه واردةً تترا عليّ كالذين لا يستحسرون.

ومـــن آيات صدقي أنه أعطاني علم القرآن، وأخبرني من دقائق الفرقان، الذي لا يمسّه إلا المطهّرون.

ومـــن آيـــات صدقي أنه أدبني فأحسن تأديبي، وجعَل مشربي الصـــبرَ والرضاء والموافقة لربي والاتباع لرسولي. وأودع في فطرتي رموز العرفان، وجعلني عارفا لمصالح الأمور ومفاسدها، وأدخلني في الذين هم منفردون.

يا مشايخ العرب وأصفياء الحرمين.. هذه هي الأخبار والمواعظ التي عرضتها على علماء الهند، ونبّهتهم فلم ينتبهوا، ووعظت فلم يتعظوا، وأيقظت فلم يستيقظوا، ووقعوا في ظنون الجاهلية، وهمّوا بـــتكفيري وتكذيـــبـــي، وأخـــذوا بتلابيـــبي، وهم على قولهم يصرّون. وقد أتممت عليهم حجتي، وابتلج عليهم صباح صدقي، وجحدوا بدعوتي واستيقنتها أنفسهم وهم بلسانهم منكرون. وإني أرى قلوبهم وَجِلةً، وفي مهجتهم حسرة وكربة، وتراءى لهم الحق وهـــم يتجاهلون. وأرى أنهم قد تفرقوا وكانوا في أمري أزواجا شتّى، فبعضهم صدقني وهم ضعفاؤهم وأتقياؤهم، وبعضهم كذبني

وأعرض وازدراني في عينه كبرًا وقلًى، وهم الذين يستكبرون. وإني أرى المصـــدقين أنهم يزيدون، وأرى المكذبين أنهم ينقصون، ويأتي الأرض ربي ينقصـــها من أطرافها، ويفهّم القلوب، ويفتح العيون، ويـــزيل الظـــنون. والذيـــن يأتونني بتوسم الأتقياء فهم يعرفونني ويبايعون. يشحّذ بصيرة تقواهم فهم لا يتردّدون.

وقـــد أنبأني ربي أنني كسفينة نوح للخلق، فمن أتاني ودخل في البيعة فقد نجا من الضيعة، فطوبى لقوم هم ينجون. وما آمر الناس إلا بالقرآن، وإلى القرآن، وإلى طاعة الرب الذي إليه يرجعون. إن الله قد رأى في قلوب الناس، وجوارح الناس، وأعين الناس، وآذان الناس، ونيّات الناس، ذنوبًا وآثامًا وإجرامًا، ورآهم ملوَّثين بأنواع المعاصـــي والخطيات، فأقام عبدًا من عباده لدعوتهم إلى لبّ الدين وحقيقة الشريعة التي ما ذاق الناس طعمها، فهم منها مهجورون.

أيها الإخوان من العرب ومن مصر وبلاد الشام وغيرها.. إني لما رأيت أن هذه النعمة نعمة عظيمة، ومائدة نازلة من السماء، وآية كريمة من الله ذي العطاء، فلم تطب نفسي أن لا أشارككم فيها، ورأيت التبليغ حقا واجبا، ودينا لازمًا لا يسقط بدون الأداء، فها أنا قد قلت لكم ما تَبدّى لي من ربي، وأنتظر كيف تجيبون.

ووالله إني مـــأمور مـــن الله الـــذي أرسل نبينا وسيدنا محمدا المصطفى ﷺ لهداية كافة الناس. وأعلم من الله أنه لا يضيعني، وقد

خلع علي من حلل الولاية، وسقاني من كأسها، وأعطاني ما يعطى المقـــربون. وأرى بركاته نازلةً على أنفاسي، وعلى قلبي ولساني، وعلى فهمي وبياني، وعلى جدران بيتي وعتبة بابي وأُسْكُفّتِها، فهل أنـــتم تقبلون؟ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وإني متوكل عـــلى ربي، وأفوض أمري إلى الله، وأدعو الله أن يصفي خَلقه من خبـــث الأهواء، ويلهمهم فعلَ الخيرات وقبولَ نداء أهل الاجتباء، وينجـــيهم في الدنـــيا والآخـــرة من سوء الخزي وجهد البلاء، ويُلحقهم بالذين هم صادقون.

وآخـــر دعوانا أن الحمد لله الذي يهب الإيمان، ويفتح الآذان، وينوّر العيون، ويزيل الظنون.

تتمة البيان..
في ذكر بعض السوانح
ومنن الله المنان

أيها الإخوان، قد أُلقيَ ببالي، من بعد ما نمّقتُ مكتوبي وأتممت مقالي، أن أكشف القِناع عن بعض سوانحي وسوانح آبائي، لتعلموا ما أسبغ الله عليّ من العطاء، وربّاني من أيدي المنن والآلاء، ولكي يحصل لكم بصيرة تامّة في أموري ومهامي، ويتضح وينكشف عليكم مسكني ومستقري ومقامي، ولعل الله يقلب قلوبكم وتأتونني مسترشدين، أو تراسلونني وتسألون.

فاعلموا.. أيدكم الله.. أن آبائي كانوا الفارسيين أصلا ومن سادة القوم وأمرائهم. ثم قادهم قضاء الرحمن إلى بلدة "سمرقند"، فلبثوا فيه برهة من الزمان، والله يعلم بما لبثوا، ولا علم لي إلا ما أُنبئتُ من صحفهم التي كانوا يكتبون. ثم بدا لهم أن يسيروا إلى أرض الهند، فسافروا من وطنهم، وانحدروا إلى بعض أضلاع منها يقال لها "فنجاب"، ووجدوا في بعض نواحها أرضا طيبة مُخصبةً، صالحة الهواء عذبة الماء، فألقَوا بها عصا التَّسْيار، ونزلوا فيها بِنيّة

الاستقرار، وكانوا متغـــربين في نفر من قومهم.. منهم السادة ومنهم الخادمون. فآواهم الله في تلك الأرض، وبوّأهم مبوّأ عزة، ومكّنهم. فعمروا فيها قرية، وسموها: "إسلام بور" (المعروف بقاديان)، ذلك بأنهم أرادوا أن يُسكنوها جماعة المسلمين من أعزتهم، ليكون بعضهم لبعض ظهيرا، ولعلهم يحفظون أنفسهم من الأعداء، وإذا أصابهم البغي ينتصرون. وسكنوها وتملكوا، وأثمروا وبوركوا، وكان هذه الواقعة في أيام دولة الملوك الجغتائية، الذين كانوا من أقوام الجيل، وكان زمام الحكومة إذ ذاك بيد اقتدار المـــلك الذي كان اسمه "بابر"، وكان من الذين يكرمون الشرفاء ويعظمون. فأعزّهم وأكرمهم، وأعطاهم قرى كثيرة، وجعلهم من أمراء هذه الديار وأهل الأرضين، وعظماء الحراثين وزعمائهم، ومن الذين يتملكون.

فرَقُوا في مدارج الإقبال، وزادوا أموالا وأراضي وإمارةً، وكانوا.. مع إماراتهم وثروتهم.. يتقون الله، وفي سبل الخير يسلكون. وفي أيّام إمارتهم تَهلَّلَ وجه الإسلام في رعاياهم وأقوامهم، وكانوا أتقياء، وكانت الأمم لهم يخضعون. وكانوا يرغبون في الصالحات، وفعل الخيرات، ويمسكون بكتاب الله، وينصرون دين الله، وإلى نوائب الحق يَأفَدون.

وبعد ذلك الأيام.. قُلِّب أمر سلطنة الإسلام، وتطرق الاختلال والضعف فيها، ليصيب الذين أجرموا من الملوك صغار من عند الله، وعذاب شديد بما كانوا نسوا حدود الله، وبما كانوا يعتدون. فصاروا طرائقَ قِدَدًا.. يبغي بعضهم على بعض، ويقتلون أنفسهم ويفسدون. وتركوا كل رشدٍ وصلاح، ومالوا إلى ما يباين الورع، وكانوا في أعمالهم يعتدون. ولم يبق فيهم من يتعاشر بالمعروف، ويرحم على الضعيف المؤوف، بل عاقب بعضهم بعضًا بالسيوف، وأرادوا أن يأكلوا شركاءهم، ويستأصلوا إخوانَهم، وأكابرهم وآباءهم، وكانوا من بعدهم كالذين لا شريك لهم في الملك وهم متوحدون. وأكثرهم كانوا يعملون السيئات، ويستوفون دقائق الشهوات، ويتركون فرائض الله وحدوده، وإلى شرك الأهواء يُوفِضون ثم لا يُقصِرون. وفرحوا بما عندهم من الدنيا، واستقرأوا طرقا منكرة، وأخذوا سبلا منقلة، وطاغوا وزاغوا، وانتهى أمرهم إلى فساد ذات البين، فسقطوا من الزين في الشين، فغيِّر زمانهم، وقلِّب دهرهم، ذلك بأن الله لا يرضى أن يرث أرضه الفاسقون. وكان بعضهم كمثل الذين ارتدوا من دين الإسلام، وخلعوا عنهم رداء أسوة خير الأنام، وكانوا لا يعرفون نعماء الله ولا يشكرون. فغضب الله عليهم، ومزق ملكهم، وجعله عضينَ، وبعث أقوامًا كانوا يبسطون أيديهم إلى ممالكهم ويقتسمون.

وكان ذلك الزمن زمان طوائف الملوك، وكانوا إلى ثغورهم يحكمون. وكان آبائي منهم، يأمرون على ثغرهم، وكالملوك على قراهم يقتدرون. وكان يُرفَع إليهم ما وقع في رعاياهم، فكانوا يحكمون كيف يشاءون، ولا يخافون إلا الله ولا يستجيزون أحدا ولا يستأذنون.

ثم نُقل صلحاء آبائي إلى جوار رحمة الله، وخلَف من بعدهم قوم أضاعوا الصالحات المسنونات، وما رعَوها حق رعايتها، ووقعوا في البدعات والرسوم وما تَعافَوها، وكانوا لدنياهم يلتاعون. وكذلك هبّت الريح في تلك الأيام على جميع أمراء المسلمين وطوائف ملوكهم، وغفلوا من الانقياد إلى الله والإخبات له، وعصوا أحكام القرآن، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وكانوا يراءون ولا يخلصون.

ونظر الله إليهم فوجدهم كأجساد لا أرواح فيها، ورآهم أنهم انتكسوا على الدنيا وكانوا مما سواها يستوحشون. وكانوا يشفقون على مهمات دنياهم وعلى الدين لا يشفقون. وتلطخوا بقاذورات النشأة الأولى، وغفلوا عن النشأة الثانية، فما طلبوها وما كانوا يطلبون. فاقتضت حكمة الله تعالى لينبههم، وأراد أن ينـــزع الملك منهم، ويؤتي قومًا من عبدة الأوثان كانوا يسمون أنفسهم "خالصة"، وكانوا أميّين لا يعلمون شيئا ولا يعقلون.

فأهاج الله تقريبات عجيبة لنصرهم وإقبالهم، وإزعاج شجرة المسلمين وحطمهم، ليعلموا أنهم فسقوا أمام ربهم وأنهم ظالمون.
فقام "الخالصة" بجميع الجهد والهمة ليستأصلوا المسلمين، ويصفو ملكهم لهم، وأعانهم الله عونًا عجيبًا، فكانوا في كل موطن يغلبون. ففي هذه الأيام صبت على آبائي حوادث ونوازل، واستولى "الخالصة" على بلادهم وجاسوا ديارهم، وغصبوا ملكهم ورياستهم واستخلصوها من أيديهم، ونهبوا أموالهم وخرّبوا عماراتهم، وفرّقوا أجيالهم، وأحرقوا دار كتبهم، وأُحرق فيها زهاء خمسمائة مجلدات كتاب الله الفرقان، وكان المسلمون ينظرون إليها ويبكون. واتخذوا مساجدهم معابد أصنامهم، وقتلوا كثيرًا منّا بحسامهم، وجعلوا أعزّتنا أذلة. حتى إذا بلغت الكربة منتهاها، وأحاطت الهموم على آبائي، وضاقت الأرض عليهم بما رحبت، وأُخرجوا من دار رياستهم، في نفر من إخوانهم وعبيدهم وخدمهم، فكانوا في كل أرض يتيهون. وأظهر الكفرة في بلادهم شعائر الكفر، ومحوا آثار الإسلام وجعلوها غثاءً، وقلبوا الأمور كلها وكذلك كانوا يفعلون. فأصابت المسلمين في هذه الأيام مصيبة عظيمة، وداهية عامة، وما كان لأحد أن يؤذن في مسجد، أو يقرأ القرآن جهرًا، أو يُدخِل أحدًا من الهنود في دين الله، أو يذبح بقرة، وكان الجزاء في كل هذه الأمور القتل والنهب، وإن

خُفِّف فتقطيع الأيدي والأرجل، وإن رُحِمَ عليه فالحبس الشديد حتى يموت في السجن ظمأً ومخمصةً وهم يشهدون.

وكان المسلمون مظلومين مجروحين مغصوبين مضروبين كل الأيام، وما كان لهم محيص ولا مناص، ولا مخلّص ولا راحم، وكانوا من كل باب يُطْرَدون. وكانوا يبنون بيتًا ولا يبيتون فيها، ويكسبون أموالا ولا ينتفعون منها ولا يحظون. وكانوا من كل جهة شُنّت الغارات عليهم ويُنهَبون. وكانوا تارة يُحبَسون، وتارة يُقتَلون، وأخرى إلى السبي يذهبون. وكانوا يزرعون بجهد مُهجتهم ولا يأكلون مما زرعوا شيئا ولا يدَّخرون. صُيّرت المدن خَرِبة، والطرق مَخوفة، والزروع معدومة، والأموال مفقودة، والمساجد موحشة، والعلوم موءودة، وكان المسلمون في أعينهم كالجراد وفي الازدراء يزيدون. وكان طائفة منهم يهاجرون إلى بلاد أخرى ويتركون بيوتهم ومساكنهم، وعلى جناح التعجيل يرحلون. وأكثرهم كانوا كالمقيدين بأيدي الكفرة، وكانت الفجرة كالأفاعي يصولون على المؤمنين ويلقَفون.

فتاب المسلمون إلى ربهم، وطرحوا بين يدي مولاهم الكريم، وكانوا في المساجد يخرون على المساجد، ويدعون عليهم، ولكشف هذا الرجز يتضرعون. وقد قتل ألوف منهم بما أذّنوا وصلّوا، وذبحوا بقرة أو عقروا، وما كان لهم حكَم ليرفعوا

قضاياهم إليه، ولا كهف ليبكوا على بابه، فكانوا في كل وقت إلى ربهم يرجعون. وأوذوا وعذبوا وكادت أن تزهق أنفسهم وهم يندُبون ويرثُون. وزلزلوا زلزالا شديدا، وقتِّلوا تقتيلا شنيعًا، وبُدّدوا تبديدًا، حتى صعد إلى العرش عويل اليتامى، ونياح الأرامل، وضجيج الضَّعَفة، وارتعدت الأرض تحت أقدام الكفرة، وأخذت المقربون أذيال رحمة الله وهم يشفعون.

فلما اجتمعت أدعية الضعفاء والمضطرين في حضرة الله تعالى، ولحقت بها توجهات المقربين، وتواطأت الأسباب من كل جهة وطرف، ورأى الله تعالى أن المسلمين أصيبوا في مالهم، وأنفسهم وعيالهم، وأعراضهم ورحالهم، وعقائدهم وأعمالهم، ورأى أن المصيبة قد بلغت انتهاءها، فنظر نظر التحنن والترحم إلى المذنبين، وادّكرَ قومَه الذين هم عباده المنتخبون، الذين إذا استغفروا متندمين فيُغفرون، وإذا استنـــزلوا الرحمة باكين فيُرحمون، وإذا استغاثوا متضرعين فيُنصرون، وإذا خروا ساجدين عند حدوث نازلة يسعى الله إليهم ويؤيَّدون، وإذا جاءوا توّابين فيُقبَلون. وأجيبت الدعوات، وسمعت التضرعات، واشتد غضب الله على "الخالصة" وقضى بهلاكهم وهم غافلون.

فلما حان وقت هلاكهم أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء، يقتل بعضهم بعضًا، فكانوا كالسباع يفترسون أعزّهم ويسفكون.

وأراد كل واحد منهم أن يقطع دابر أخيه، وأسرّوا في أنفسهم استيصال شركائهم، وقالوا لو قتلنا هؤلاء فبعدهم إنا لنحن الحاكمون. فسلّوا سيوفهم على آبائهم وأعمامهم، وإخوانهم وأبنائهم، فقُضِي الأمر في أيام معدودات، وأذاقهم الله ما كانوا يستباحون. وهم في تلك الأيام تفرقوا وصاروا شيعا، وجعلوا يفسدون في الأرض ويقطعون الطريق، ويصولون على المسافرين كالسباع، وبإدلال الدولة الفانية يستكبرون. وما كان لهم علمٌ ليتهذّبوا، ولا قلب ليفهموا، ولا آذان ليسمعوا، ولا أعين ليبصروا، وكانوا كالوحوش البرية، فوَذَرُوا الآخرة وألغوها، وكانوا يقعون على الآجلة كالكلب على الجيفة أو يزيدون. فما بقي من مهجّة ولا شِعب إلا شغَبوا عليها، وما رأوا من أموال إلا نهبوها، وكان سفكُ دماء المسلمين عندهم أخفَّ من قتل بعوضة، وكانوا على قتلهم يحرصون. وكانوا كذابين غدارين، لا يرقبون إلًّهم، ولا يرعون حلفهم، وينقضون العهود، وينكثون الأيمان ولا يتقون.

فأراد الله أن يأسو جروح المسلمين، ويفكّ رقبتهم من نير الظالمين، وينقذهم من سجن الفرعونيين، ويمنّ على الذين كانوا يُستضعفون. فدعا قومًا من أقصى الأرض، فنسَلوا إلى دُويرهم الخربية، ينقصونها من أطرافها، وجاءوا بأفواج كرارة مبشرة بنجاح وفتح، ونزلوا بعراء بلدة اسمها: "فيروز بور"، وكان

المسلمون برَيّا قدومهم يفرحون. فما كان "للخالصة" الدنيّة أن يقاوموهم أو يحاربوهم، وألقى الله عليهم الفشل، كأنّ الدم عُصِرَ من أبدانهم، فواجهوا إلى بيوتهم وهم يُهزَمون. وألقى الله في قلوبهم رعبا عجيبا، وهيج البلابل في صدورهم، وأضرم في أحشائهم جمرة حب الحياة، فولوا الدبر كالخناثى وهم يبكون. وعاقبتْهم فتْــية قوم كان عون الله معهم، وسقطوا على وجوههم المسودة الدميمة كالشهب، فكثير منهم قُتلوا، وكثير غرقوا في اليم، وكثير شابهوا الأموات وهم يهربون. وهربت الحواس من بطون دماغهم، كأنه خدرت أعضاؤهم كلها أو هم مفلوجون. وأقرّ الله أعين المسلمين برؤية رايات أنصارهم، ودُقّقت "الخالصة" على وجه الأرض كالعروق الصغار المنتسجة على سطح جلد البعوضة، وتَراءَوا كالــمغشي عليه من الموت، وتيقنوا أنهم سيوبقون. وكان المسلمون يدعون لقاتلي "الخالصة" قائلين: جُزيتم خيرًا، ووقيتم ضَيرًا، إنكم محسنونا، وإن كفرنا فإنا ظالمون. فمحا الله بأيديهم اسم "الخالصة" من تحت السماء، واستأصلهم من أرضهم، ورفع مؤونتهم من خلقه، فما ترى منهم من أثر، كأن الأرض ابتلعتهم، فيا للعجيبة أيها الناظرون!

والآن نقص عليكم قليلا من حالات هذا القوم الذي جعله الله للمسلمين أواصِرَ رحمه، وأرسلهم لنا كالناصر الحارد، أو المغنَم

البارد، ليجزي المؤذين الــملطّطين جزاء أعمالهم، ويؤمِّن قوما كانوا يخوفون. وإني أرى أن أذكرهم بتذكرة مميزة على حدة، منـــزهة من مشاركة ذكر "الخالصة"، إكراما لنعمة الله تعالى، لعل الله يجـــعلنا من الذين يعظمون نعماءه ويشكرون، ولأتّبع سبيل السيد ﷺ الذي سنّ الشكر للناس وقال: من لم يشكر الناس فلم يشكر الله، ونستكفي به الافتنانَ بإطراء في مدح، أو إغضاء عند قدح، ولا نقول إلا الحق، فليشهد الشاهدون.

ذكر الدولة البرطانية وقيصرة الهند

جزاها الله عنا خير الجزاء

اعلموا أيها الإخوان.. أننا قد نجونا من أيدي الظالمين، في ظل دولة هذه المليكة التي نمّقْنا اسمها في العنوان، التي نضَرنا في حكومتها كنضارة الأرض في أيام التَّهْتان. هي أعزّ من الزَّبّاء بملكها وملكوتها، اللهم بارك لنا وجودها وجودها، واحفَظْ مُلكها من مكائد الروس ومما يصنعون. قد رأينا منها الإحسان الكثير، والعيش النضير، فإن فرّطنا في جنبها فقد فرطنا في جنب الله، وإن شر الدواب عند الله الأشرار الذين يؤذون المحسنين، ويُتْبِعون المريحين، فالله يضع الفأس على أشجار حياتهم فهم يُقطعون.

أيها الناس.. إنا كنا قبل عهد دولة هذه المليكة المكرمة مخذولين مطرودين من كل طرف، لا نعرف سكنا، ولا نملك مسكنا، وكانت "الخالصة" يخطفون أموالنا خطفة الباشقِ، ثم يمرُقون مروقَ السهم الراشق وينسِلون. وكنا كالذين في المعامي والموامي يُستفردون، ومِن لظى الغربة يتأججون. فنجانا الله من هذه البلايا كلها، وأعاننا بقوم ذي الوجه البدري، واللون الدري، فعادت

بقدومهم أيام رَوحنا وريحاننا، ورأينا بهم شكل أوطاننا وإخواننا، وأيدوا ونصروا وقاموا لإيطاننا، فدخلنا بعد عُمرٍ في الذين يروَّحون. وظهَرنا برؤية راياتهم ظهور الشمس بالصباح، وتقوينا بعناياتهم تقوي الأجسام بالأرواح، وودَّعْنا بقدومهم أبا غمرة وأبا عمرة، كان قد أضرم في أحشائنا الجمرة، وصرنا من الذين يعيشون بأرغد عيش، وبنوم الأَمَنةِ ينامون.

وأول ما لَقفْنا من آلائهم، وثقفنا من نعمائهم، هو الأمن والنجاة من تطاول اللّيام وظلم عبدة الأصنام، فإنهم آمنونا من كل خوف، وجبروا بالنا، وأزالوا بلبالنا، فدخلنا الجنة بعد ما كنا من الذين هم يعذَّبون. وصرنا في هذا العهد المبارك من أرباب البضاعة، وأولي المكسبة بالصناعة، ومن الذين يتنعمون. وأما في عهد "الخالصة" فكانت تجاراتنا عرضة للمخاطرات، وزروعنا طُعمة للغارات، وصناعاتنا غير فاضلة الأقوات، ومع ذلك محدودة الأوقات، وكان انسلاكنا في أعوان رياستهم وعمّالهم وعَمَلتهم وحفدتهم، تمهيدا للغرامات، وإرهاصًا لأنواع التبعة والعقوبات. وكنا كشيء يقلّب في يوم مائة مرة، ما ندري أين نكون غدا، أفي الأحياء أو في الذين يُشغَبون ثم يُقتلون.

فالحمد لله الذي بدَّلَنا من بعد خوفنا أمنا، وأعطانا مليكة رحيمة كريمة، ما نرى في عمالها سطوة المتحكمين، ونَضْنضة

اللادغين العاضّين، بل هم على الضعفاء يرحمون. ونحن تحت ظلهم نقتحم الأخطار، ونخوض الغِمار لندرك الأوطار، ومع ذلك كنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإن اتفق أن تركنا البيوت عورة، وفارقنا الديار فجأة، ما كان أن يمسّنا من سوءٍ، بل كُنا في أمن من كل حرامي وسارق كأنه لم نَرُمْ وَجارَنا، ولا ظعنّا عن الفِنا وجارِنا، فكيف لا نشكر أيها الغافلون؟

إنهم أعطونا حرية تامة في إشاعة الدين، وتأليف الكتب وإقامة البراهين، والوعظ ودعوة الخلق إلى الإسلام، وفي الصوم والصلاة، والحج والزكاة. وأكثر قضايا الشريعة إلى الشريعة يردّون، ويستفتون من علماء الإسلام في معاملات المسلمين ولا يعتدون. ويفتشون عند كل حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، ولا يستعجلون. وإذا حضر محاكماتهم المسلمان يرغّبونهم في شورى المسلمين، ويعظونهم ليقبلوا حَكَمًا حَكَمًا من أهلهما، وإذا قبلوا فيفرحون. وظهرت في أيامهم علوم الإسلام، وسنن خير الأنام ﷺ، ولا ينكرها إلا المتعصبون. وكم من مدارس عمروها، وأشاعوا أنواعَ الفنون، وأخرجوا كل ما كان كالمدفون. ورتّبوا فيها قواعد الامتحان، ليكرم الطالب أو يهان. ولا شك أنهم أحسنوا ضوابط التعليم، وأكملوا طرق التفهيم، وملكوا في هذا الأمر كلَّ زَنْدةٍ متعسّرة الاقتداح، وكلَّ قَلعةٍ مستصعبة الافتتاح، ومع ذلك مؤونةً

هذا التعليم قليلة، وأيامها معدودة، وفوائدها جليلة، فليغبط الغابطون.

ولعمري إن هذا القوم قوم أرسله الله لنا ولخيرنا، أبادوا من أبادنا، وقلدوا بالنعم أجيادنا، ووجب علينا شكرهم بالقلب واللسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فليتلقه المسلمون بالإجلال والإعظام، ويحملوا نير طاعتهم على كاهل المَبَرّة والإكرام، ومن عصاهم منا أو خرج عليهم أو حاربهم فأولئك الذين اعتدوا حدود الله ورسوله، وأولئك هم الجاهلون. وحرامٌ على المؤمنين تحديفهم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم، وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة أن يعصي في المعروف ملِكا يحفَظ عرضَه وماله، ويتحامى أهلَه وعياله، ويُفشي الإحسان، ويُذهب الأحزان، وينشئ الاستحسان، فخذوا الفتوى أيها المستفتون. فأذنوا بحكم الله ولا تميلوا إلى جذبات النفس، ولا تأذنوا بآراء العلماء الذين يفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون. إننا لقد عاينّا آلاء كثيرة ونعماء كبيرة من قيصرة الهند، فكيف ننساها ونكفر بها، وإن الله لا يرضى لعباده أن يكفروا وهم منعمون. لا ريب في أن القيصرة أحد جناحي المسلمين، وحافظة آثار الإسلام، ومن الذين هم يحسنون. وُجودها لنا بركة، وَجودها لنا مُزْنة، ليست على أذيتنا براضية، وقد

عصمها الله من ظلم وتغاضٍ، آوت أقوامًا متفرقة في ذيلٍ فضفاضٍ، كل حزب بعنايتها فرحون.

وأما فساد قسيسين وتطاولهم وهبوب سمومهم، وشيوع ضلالات الفلاسفة وانتشار علومهم، فليس فيها دخل هذه المليكة مثقال ذرة، وهذه الدولة برية من الظن بحمايتها، بل هذه نتائج حرية قد أُعطي لكل قوم نصيب تام منها، وما أعطى قانون القيصرة حقا زايدا للقسيسين على المسلمين، بل سواهما في ذلك، فلِمَ يرتاب المرتابون؟ ومن فهم أن القسيسين شعبة من شعب هذه الدولة وأنهم يعظون بأمر القيصرة فقد ضل ضلالا بعيدًا، وصار من الذين يظلمون.

أتمنع القيصرة من إشاعة دين الإسلام؟ وكأيّن من قومها.. ومن نواح دار دولتها.. أسلموا، وأُسّس المساجد فيها وعمرت، فما لكم لا تفهمون؟ وعناياتها ليست مختصة بقوم دون قوم، ذلك ظن الذين يقنَعون على خيالات سطحية، وهم عن حقيقة الأمر غافلون. انظروا إلى آثار فيضها! كيف أقامت في كل بلدة أندية الإفادة، فمنها أندية الأدب، ومنها أندية سياسة المدن، ووشّحتْها بشورى الحكماء والعقلاء، وأجرت من العلوم أنهارًا، وفتحت للطلباء مدارس، وهمّنت لفقرائهم درهما ودينارًا، وأعانتهم إدرارًا، وطالما داومت على ذلك، فاشكروا لها أيها المسلمون،

وادعوا الله أن يديم عز هذه المليكة الكريمة، وينصرها على الروس المنحوس، ويُدخلها في الذين آمنوا بالله ورسوله، ويعطيها خير الكونين، ويجعلها من الذين أُوتوا حظ الدارين ويسعدون.

يا قيصرة الهند.. وُقيتِ التَّلَفَ، وأُنسيتِ كلَّ رُزْء سلَف، قد بذلتِ في إقامة الأمن جهد المستطيع، ووسّعت الحرية غاية التوسيع، ونجيت المسلمين من هموم ناصبـــة، وأخرجت لهم أصداف درر ناضبة، ورأينا منك راحة القلوب، وقرة الأعين وتوديع الكروب، فواهًا لك لو كنت من الذين يُسلِمون.

جزاك الله عنا خير الجزاء، وأعطاك ما في قلبك من التمني. لا ينسى نعماءك ذرية المسلمين، ولا يمحى اسمك عن دفاتر الفُرقانيين. ينقطع الزمان ولا ينقطع ذكر مآثرك، فطوبى لك أيتها المحسنة إلى الذين كانوا يُقمَعون.

أيتها المليكة المكرمة.. إني فكرت في نفسي في كمالاتك، فوجدتك أنك حاذقة.. يمر رأيك في شعاب المعضلات مرَّ السحاب، وتزِفّ مداركُك في الغامضات كزفّ العقاب، ولك يد طولى في استنباط الدقائق، ومآثر غراء في تفتيش الحقائق، وأنت بفضل الله من الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطُون. أنت يا مليكة، تستشفّين كل جوهر نقي، وتستنبطين دقائق المَعْدِلة بفكر دقيق وذهن ذكي، وإن لك في هذه اللياقة مآثرَ حلوَ المذاقة،

مليحَ السياقة، ويحمدك المحمودون. فالآن قد أُلقيَ في بالي، بعد تصور كمالاتك وحسن صفاتك، التي تضوعت ريحها في العالم، أن أخبرك من أمر عظيم، ليرتفع به قدرك عند رب كريم. وما أذكره إلا بفورة إخلاصي، لأن إخلاصي قد اقتضى أن أدعوك إلى خيرك، ولا أُلغي لوازم شكرك، وإنما الأعمال بالنيات، وبصدق النية يعرف المخلصون. وما كان لمخلص أن يستشعر أمرا فيه خير محسنه، بل يستعرض متاعه له ولا يكون من الذين يكتمون.

أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبني أنك مع كمال فضلك، وعلمك وفراستك، تنكرين لدين الإسلام، ولا تُمعِنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليلٍ دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تَرَينَ في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي - أيدك الله - أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شعبته، فانظري إلى حِبره وسِبره وجنّته، وكُوني من الذين يُرزقون منه رزقًا رغدًا ويرتعون. وإن هذا الدين حي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من الذين يفترون. فبما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسُوا حظهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نورا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغبا في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتُزكَّى أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي ووجدتْ نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة، لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيتها المليكة الكريمة.. قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلا كبيرا، فارغبي الآن في ملك الآخرة، وتوبي واقنتي لرب وحيد، لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وكبّريه تكبيرا. أتتخذون من دونه آلهة لا يخلُقون شيئا وهم يُخلقون؟ وإن كنت في شك من الإسلام فها أنا قائم لإراءة آيات صدقه. وهو معي في كل حالي، إذا دعوته يجيبني، وإذا ناديته يلبيني، وإذا استعنته ينصرني، وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يضيعني. فهل لك رغبة في رؤية آياتي، وعيان صدقي وسدادي، خوفا من يوم التنادي؟

يا قيصـــرة، توبي توبي، واسمعي اسمعي! بارك الله في مالك، وكُلِّ ما لك، وكنت من الذين يرحمون. فإن ظهر كذبي عند الامتحان، فوالله إني راضٍ أن أُقــتَل أو أُصلَب أو تُقطَع أيدي وأرجلي، وأُلــحَق بالذين يُذبحون. وإن ظهر صدقي فما أسأل أجرًا منك، إلا رجوعك إلى الذي خلقك، وربّاك وأعزك، وآتاك كل ما سألت. فاسمعي دعوتي، يا مليكة الممالك العظيمة وقيصرةَ الهند، ولا تكوني من الذين يشمئز قلوبهم عند ذكر الحق ويعرضون.

أيتها القيصرة الكريمة الجليلة - أذهب الله أحزانك، وأطال عمرك وعمر فلذِ كبدك، وعافاك وحفظك من شر الأعداء والحسداء - إني كتبت هذه الوصايا خالصا لله رحما عليك وعلى عقباك، وأدعو لك بركات الليل وبركات النهار، وبركات الدولة وبركات المضمار.

يا مليكة الأرض.. أسلِمي تسلَمين.. أسلمي متَّعك الله إلى يوم التنادي، وسلِمت وحُفظت من الأعادي، ويحفظك من الله الحافظون.

أيتها المليكة الكريمة.. أنا امرؤ جذبه الله تعالى من الدنيا إلى الآخرة، وما أسأله من هذه الدنيا إلا رغيفين وكوزة ماءٍ، وصرف قلبي من أهواءٍ، لا أريد علوًّا ولا مزية في الدنيا ولا زينتها، وأريد

أن أكون بالذين يُبسط لهم سُرُر في الجنة ومن نعمائها يُرزقون، وفي رياض حظيرة القدس يرتَعون.

أيتها المليكة.. أنا أحد من المسلمين، رزقني الله عرفانه، وأعطاني نوره وضياءه ولمعانه، وأظهر عليّ ملكوت السماوات وحَبّبها إلى بالي، وأراني ملك الأرض وكرّهه إلى قلبي وصرف عنه خيالي، فاليوم هو في أعيني كجيفة أو أَنتَنَ منها، وكذا كل زينة الحياة الدنيا والمال والبنون.

وفي آخر كلامي أنصح لك يا قيصرة، خالصًا لله.. وهو أن المسلمين عضدك الخاص، ولهم في مُلكك خصوصية تفهمينها، فانظري إلى المسلمين بنظر خاص، وأقرِّي أعينهم، وألّفي بين قلوبهم، واجعلي أكثرهم من الذين يقرّبون. التفضيل.. التفضيل! التخصيص.. التخصيص! وفي هذه بركات ومصالح. أَرْضيهم فإنك وردتِ أرضهم، وداريهم فإنك نزلتِ بدارهم، وآتاك الله ملكهم الذي أمروا فيه قريبًا من ألف سنة مما تعدون. فاشكري ربك وتصدقي عليهم، فإن الله يحب الذين يتصدقون. الملك لله، يؤتي من يشاء، وينـــزع ممن يشاء، ويطيل أيام الذين يشكرون.

أيتها المليكة المكرمة.. لا شك أن قلوب مسلمي الهند معك، ولا أستنشق منهم ريح الفساد، وما أرى فيهم نار العناد، وإنهم رجلك وخيلك، المستعدون لفداء النفس وأداء شرائط الانقياد،

والحاملون لك جميع شدائد القُنن والوِهاد، بل هم أول خدمكِ في مواطن الإقدام والانبراء، وجوارحك في مواضع الفصل والإمضاء. إشارتك لهم حكم، وطاعتك لهم غنم. لن تَرَي منهم غدرا ولا عذرا. ولكنهم يا قيصرة الهند قومٌ كان لهم شأن، وكانت فيهم سرر وتيجان، وكانوا يحكمون على عبدة الصنم كالرعاة على الغنم، فقلِّب أيامهم من سوء أعمالهم، وظُلموا من أيدي "الخالصة" وإخوانهم، وكانوا يستشرفون وقت حكومتك كاستشراف الصائمين هلال العيد، ويرقُبون عنايتك رُقْبَة الحبلى ولادة الابن السعيد، وكانوا بقدومك يستفتحون. وقد مضت عليهم أيام كانوا في حُللِ إمارات، وبعصيٍّ اختيارات، فيلوعهم في بعض الأوقات ادّكارُ هذه الدرجات، فإن قلع العادات من المشكلات. وما قلت لك إلا نصحًا وإنما الأعمال بالنيات.

ووالله إن الخير كله في إكرامهم، وردِّ عزهم إليهم ببعض المناصب والعطيات، وما أرى خيرًا في حيل استيصالهم وقتلِهم كالحيات، وما كان لنفس أن تموت أو تنفى من الأرض إلا بحكم رب السماوات. فأشفقي عليهم أيتها المليكة الكريمة المشفقة – أحسن الله إليك – واعفي عني إن رأيت مرارة قولي، فإن الحق لا يخلو من المرارة، والعفو من كرام الناس مأمول.

إني أرى المسلمين قد مسّهم البؤس والافتقار، وما بقي في بيوت ذرية الأمراء إلا اللَّبِن والأحجار. سقطت العمائم عن الرؤوس، وما بقي للرهن غير الأباريق والكؤوس. كانوا في وقت ذوي حواشٍ وغواشٍ، ومتاعٍ وقماش، واليوم لا أرى حفدتَهم إلا جوارحهم، وأراهم من تقلب الأيام كالسكارى، وما هم بسكارى، ولكن غشِيهم من الغم ما يغشى الناس عند ازدياد الاعتياص، وانسدادِ طرقِ المناص. وإني أرى أنك كريمة جليلة، ومثلك لا يوجد في الملوك. وقد وهبك الله حَزامةً وانبعاثًا، تواسين رعاياك بالتعب الشديد ولا تطيعين راحة إلا حثاثا، وتستغرقين أوقاتك في تفقد الرعايا وفكر مصالحهم، وتختارين النصب لعل الخلق يستريحون. وظني أنك قد قلت لنائبيك في الهند أن يفضّلوا شرفاء المسلمين على غيرهم، وينظروا إليهم بإعزازٍ خاصٍ، ويقربوهم بخصوصية، ولكن النائبين سوَّوا الأمر، وما رعوا مصلحة إعزاز المسلمين حق رعايتها، بل ما خطر ببالهم أن ينظروا إلى أطمارهم ويسعفون.

هذا ما قلت شيئًا من حال مسلمي الهند، وأما عبدة الأصنام الذين يقولون إننا "هندو" و"آرية"، فهم قوم أنفدوا أعمارهم كالعبيد والحفدة، ومرت عليهم قرون وهم كمجهول لا يعرف، أو نكرة لا تتعرف. وتعرفين أيتها المليكة الجليلة أنهم مسلوبة

الطاقات، ومطرودة الفلوات من دهر طويل. جلودهم قد وُسمت، وجنودهم قد حُسمت، وزمام نفوسهم قد ضُفر، وظهر عزمهم قد كُسر، فيمشون إلى ما سيقوا ولا يعتذرون، ولا يريدون عزة، وفي قلوبهم جُبن الغِلْمة، فهم لا يسُلون. والسر في ذلك أنهم من حُقُب متلاحقة مطيّــةُ خدمة، لا أهل حكومة، ومعتاد فقر ومسألة، لا من أهل عزة ودولة. انتابت الملوك عليهم من غير قومهم فهم به معتادون. مَثل المسلمين كمثل ماء لا يجري إلا إلى أرضٍ غورٍ ذات حطوط، ومثل عبدة الأحجار كقوم لوط، أو كحمير احتجت لسَوقها إلى سوط، أو عصا مخروط. تلك عظام نخرة، وهم قوم كانوا عرجوا ويعرجون.

هذا ما رأيت، فقلت نصحا لله، وإخلاصا في حضرتك، والأمر إليك، وإنا تابعون.

الخاتمـــــــــة

في بعض الحالات الخاصة التي هي مفيدة للمستطلعين، الذين يتمنون زيادة المعرفة في ســـوانحي وســـوانح آبائي وسوانح بعض إخواني في الدين

الحمـــد لله الذي جعل العلماء الروحانيين المحدَّثين وَرَثةَ النبيين، وأدبهـــم فأحسن تأديبهم، وأزال كدوراتهم كلها، وجعلهم كالماء المعـــين. وعلّمهم فصفّى علومهم، وعرّفهم فأتمّ معارفهم، وبلّغهم إلى مـــنارات حـــق اليقين. ووفّقهم فدَقَّ لوازم التوفيق في نيّاتهم وأعمالهم، وأفعالهم وأقوالهم، حتّى تَزكَّوا وتَراءَوا كسبيكة الذهب بـــلمع مـــبين. وشرح صدورهم، وأكمل نورهم، وجعل وجهه حبورهم وسرورهم، وجعلهم من غيره منقطعين. ورفع مقامهم، وثبّت أقدامهم، ونوّر أفهامهم، وطهّر فراستهم وإلهامهم، وأعطى جواهر السيوف أقلامهم، ولمعات الدر كلامهم، وآمنهم من كل خوف، وأعطاهم من كل شيء، فتبارك الله أكرم المعطين.

والصلاة والسلام على السيد الكريم الجليل الطيب، خاتم الأنبياء وفخر المرسلين، الذي سبق الأولين والآخرين في الاهتداء، والاصطفاء والاجتباء، والترحم على عباد الله، حتى سمي ببعض أسماء رب العالمين. لا شرف إلا وهو الأول فيه، ولا خير إلا وهو الدال عليه، ولا هداية إلا وهو منبعها، ومن ابتغى الهدى ممن سواه فهو من الهالكين.

أما **بعد**.. فأرى أيها الإخوان أن أفصل لكم قليلا من بعض حالاتي الخاصة، وحالات آبائي، لتزدادوا معرفة وبصيرةً، وما توفيقي إلا بالله الذي أنطقني من روحه، هو ربي ومحسني ومعلمي، وهو الذي نورني بأنوار اليقين.

فاعلموا يا إخوان أن اسمي **غلام أحمد**، واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه عطا محمد، وكان عطا محمد ابن گُل محمد، وگُل محمد ابن فيض محمد، وفيض محمد ابن محمد قائم، ومحمد قائم ابن محمد أسلم، ومحمد أسلم ابن محمد دلاور، ومحمد دلاور ابن إله دين، وإله دين ابن جعفر بيگ، وجعفر بيگ ابن محمد بيگ، ومحمد بيگ ابن عبد الباقي، وعبد الباقي ابن محمد سلطان، ومحمد سلطان ابن ميرزا هادي بيگ المورث الأعلى. فذلك اسمي وهذه أسماء آبائي، غفر الله لنا ولهم وهو أرحم الراحمين.

وإن استطلعتم علامات لا بد منها في إيصال المكاتيب إليّ.. فاكتبوا هكذا على لفافة مكتوبكم.. أعني بذلك: قاديان.. ضلع كورداسبوره .. قسمة أمرتسر.. ملك فنجاب من ممالك هند، واكتبوا عليه اسمي: "ميرزا غلام أحمد قادياني"، يصلني إن شاء الله تعالى، وهو خير الموصلين.

والآن أبين لكم من بعض واقعات أرى في تبيينها خيرا وبركة، وتفهيم ما لا تعلمون بعلم اليقين.

فاعلموا أيها السّادة أنّ آبائي - كما ذكرت فيما مر - كانوا من عظماء الحراثين، وكانت صناعتهم الفلاحة، وكانوا من أهل الإمارة والقرى والأرضين. وكانوا من أكرمِ جرثومة، وأطهرِ أَرومة، ذوي فضل ووجاهة، وسَيدودة ونباهة، بُناة المجد وأربابَ الجد ومن المقبولين. وكانوا في زوايا هذه الأرض خبايا وبقايا من الأمراء الصالحين. وبعضهم كان من مشاهير المشايخ ونادرة الدهر في التزام دقائق العفة وأنواع الصالحات، وصاحب الأوقات، المشهود بالكرامات والآيات وخرق العادات، ومن المتعبدين المنقطعين. وكانوا في هذه الأرض ثاوين في الكفرة الفجرة، فصُبّت عليهم ما صبت، وقد ذكرناها من قبل للناظرين. وكنا ذرية ضعفاء من بعدهم ومن المستضعفين.

ولما مكر"الخالصة" مكرهم، وأخرجوا آباءنا من ديارهم، توفي جدي في الغربة، وسمعت أنه مات وهو من المسمومين. وبقي أبي يتـــيما غريـــبا مسافرا خاوِيَ الوفاض، بادِيَ الإنفاض، مضروبَ النوازل كالملمّ في الليل المدلهمّ، يجوب طرقات البلاد مثل الهائم ما يـــدري مـــا الشمال ولا اليمين. وكان شغل أبي في تلك الأيام مكـــابدة صعوبة الأسفار أو مطالعة الأسفار، وسمعت منه – غفر الله لـــــه – مـــرارا أنـــه كان يقول: كل ما قرأت قرأته في أيام المصائب والغربة والتباعد من الدار. وكان يقول مرارا إني جربت الخاص والعام كما يجرب الحائر الوحيد، ورأيت مَكارهَ كنتُ منها أَحيد، وكان من المزؤودين. فكان أبي طالما سار كمستهام ليس له قيام، لأنه كان أُخرجَ من أرض الآباء، وصُدّ عن الانكفاء، وكان عرضـــة لنـــزوات الظالمين وإعنات المؤذين وغِيل المغتالين وسلبِ الســـالبين، وطُعمـــةً للمغيرين وأسيرًا في أكف الضائمين. ثم بعد تـــراخي الأمـــد وتلاقي الكَمَد، قصَد "كشميرَ" يستقري أسباب المعـــاش، لعـــل الله يـــدرأ بلاءه، ويدفع داءه، ويأتي قضاؤه بأيام الاطْرِغْشاش، ويكون من المطعمين.

وقـــد اتفق في تلك الأيام أن ربي ألبسني خلعة الوجود، ونقلني من زوايا الكتم إلى مناظر الشهود، وصرت على مسقط رأسي من الســـاجدين. وكانـــت هذه هي الأيام التي بدل الله أبي من بعد

خوفــه أمنا، ومن بعد عسره يسرا، وصار من المنعمين. وأوى له الوالي، ورقّ قلبه لمصيبته ومِن غِيَرِ الليالي، فلما كلّمه ورأى الوالي ما أعطاه الله من العلم والعقل والطبع العالي، شهد توسّمه بأنه من أبهى اللآلي، فصبا إلى الإسعاف والاختصاص، والتسليك في زمرة الخواص، وقال: لا تخف، إنك اليوم من أعواننا المكرمين. وكذلك مكّن الله أبي وحبّبه إلى أعينهم، ووهب لـــه عزة وقبولا وميسرة، ونظر إليه إنعامًا ومياسرة، وكان هذا فضل الله ورحمته وهو أرحم الراحمين.

وسمعت أمي تقول لي مرارًا: إن أيامنا بُدّلت من يوم ولادتك، وكـــنا مـــن قبل في شدائد ومصائب، وذا أنواع كروبٍ ومحنٍ، فجاءنا كل خير بمجيئك، وأنت من المباركين.

وكان أبي يعرج من مرتبة إلى أخرى، ومن عالية إلى عليا، حتى عـــرج إلى معـــارج الإقـــبال، وخلع الله عليه من خُلَعِ الإكرام والإجلال، وما أَلَتَه من شيء، وصار من المتمولين.

ثم غلـــب علـــيه تذكار الوطن، والحنين إلى المسارح المهجورة والعطـــن، فقـــوّض خيام الغربة والغيبة، وأسرجَ جواد الأَوبة إلى الأهـــل والعشـــيرة، ورجـــع سالـــمًا غانـــمًا إلى العِترة بنضرةٍ وخضـــرةٍ ومـــتاعٍ وأثاثٍ، رحيبَ الباع، خصيب الرِّباع. وكانَ

ذلك فعل الله الذي أذهب عنّا حزننا، وأماط شَجننا، ومَنّ علينا، وتولى وتكفل وأحسن إلينا، وهو خير المحسنين.

ثم عــزم أبي عــلى أن يسبر بخته في الزراعات، لينجو من السفر المبرِّح، والبين المطوِّح من الأهل والبنين والبنات، فاستحسن لنفسه اتخــاذ الضــياع، والتصدي للازدراع، فأحمدَ بفضل الله معيشتُه، واسترغدَ فيها عيشتُه، ورُدّ عليه قليل من القرى، التي غُصبت من الآباء في زمن خلا. وقواه الله بعد ضعف المريرة، وبارك الله له في أشياء كانت من قبل نَكِدَ الحظيرة. وكل ذلك كان من فضل الله ورحمــته، وإن خفــي عــلى المحجوبين، ليتم قول رسوله ﷺ إن **الموعود** الآتي يكون من الحارثين.

هــذا قليل من سوانح أيام ولادتي وصغر سني. ولما ترعرعتُ ووضــعتُ قدمي في الشباب، قرأتُ قليلا من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدة من علوم تعميقية، وشيئًا يسيرًا من كتــب الطب. وكان أبي عَرّافًا حاذقًا، وكانت لــه يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الصناعة، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها، فقرأت ما شاء الله، ثم لم أجد قلبي إلــيه مــن الراغبين. وكذلك لم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصــول والفقه إلا كطلّ من الوَبْل، وما وجدتُ بالي مائلا إلى

أن أشمّر عن ساق الجد لتحصل تلك العلوم، وأستحصل ظواهر إسنادها، أو أقيم كالمحدثين سلسلة الأسانيد لكتب الحديث.

وكنت أحب زمرة الروحانيين. وكنت أجد قلبي مائلا إلى **القرآن** ودقائقها ونكاتها ومعارفها. وكان القرآن قد شغفني حبا، ورأيت أنه يعطيني من أنواع المعارف وأصناف الأثمار لا مقطوعة ولا ممنوعة، ورأيت أنه يقوي الإيمان ويزيد في اليقين.

ووالله إنه **دُرّة يتيمة**. ظاهره نور، وباطنه نور، وفوقه نور، وتحته نور، وفي كل لفظه وكلمته نور. جنّة روحانية، ذُلِّلتْ قُطوفها تذليلا، وتجري من تحته الأنهار. كل ثمرة السعادة توجد فيه، وكل قبس يُقتبس منه، ومن دونه خَرْطُ القَتاد. موارد فيضه سائغة، فطوبى للشاربين. وقد قُذف في قلبي أنوار منه ما كان لي أن أستحصلها بطريق آخر.

ووالله لو لا القرآن ما كان لي لطف حياتي. رأيتُ حسنه أزيد من مائة ألف يوسف، فملت إليه أشد ميلي، وأُشْرِبَ هو في قلبي. هو رباني كما يربى الجنين. وله في قلبي أثر عجيب، وحسنه يراودني عن نفسي. وإني أدركت بالكشف أن حظيرة القدس تسقى بماء القرآن. وهو بحر مواج من ماء الحياة، من شرب منه فهو يحيا بل يكون من المحيين. ووالله إني أرى وجهه أحسن من كل شيء. وجه أُفرِغَ في قالب الجمال، وأُلبس من الحسن حلّةَ

الكمال. وإني أجده كجميل رشيق القد، أسيلِ الخد، أُعطيَ لــه نصــيب كامل من تناسب الأعضاء، وأُسبغت عليه كل ملاحــة بالاســتيفاء، وكل نور وكل نوع الضياء. وضيئٌ.. أعطي له حظ تــام مــن كــل مــا ينبغي في المحبوبين من الاعتدالات المرضية، والملاحات المتخطفة، كمثل حَوَرِ العيون، وبَلَجِ الحواجب، ولَهَبِ الخــدود، وهَــيَف الخصور، وشَنَب الثغور، وفَلَجِ المباسم، وشمم الأنــوف، وسَقَمِ الجفون، وتَرَفِ البنان، والطُّرر المزينة، وكل ما يُصبي القلوبَ ويسرّ الأعين ويُستملح في الحسين.

ومــن دونه كل ما يوجد من الكتب، فهي نَسَمة خِداجٍ، أو كمضــغة مسقَطة غيرِ دِماج، إن كانت عين فلا أنف، وإن كان أنــف فلا عين، وترى وجوهها مكروهة مسنونة ملوَّحة. ومثلها كمثل امرأة إذا كُشف برقعها وقناعها عن وجهها فإذا هي كريهة المــنظر جدا، قد رُمي جفنُها بالعَمَش، وخَدّها بالنَمَش، وذوائبها بــالجَلَح، ودُررهــا بالقَلَح، ووردُها بالبُهار، ومسكها بالبُخار، وبدرها بالــمُحاق، وقمرها بالانشقاق، وشعاعُها بالظلام، وقوتها بالشــيب التام. فهي كجيفة متعفــنة، نَتنة مُنتــنة، تؤذي شامّة الــناس، وتستأصل سرور الأعين، يتباكَونَ أهــلُها لافتضاحهم، ويتمنى النظيفون أن يدسّوها في تراب، أو يذبّون عن أنفسهم إلى أسفل السافلين.

فـــالحمد لله ثم الحمد لله أنه أنالني حظًا وافرًا من أنواره، وأزال إملاقـــي مـــن درره، وأشـــبع بطني من أثماره، ومنح بي من النعم الظاهرة والباطنة، وجعلني من المجذوبين. وكنت شابًا وقد شختُ، ومـــا استفتحت بابًا إلا فتحت، وما سألت من نعمة إلا أعطيت، ومـــا استكشـــفت من أمرٍ إلا كشفت، وما ابتهلت في دعاءٍ إلا أجيبت، وكل ذلك من حبي بالقرآن، وحبّ سيدي وإمامي سيد المرســـلين، الـــلهم صل وسلم عليه بعدد نجوم السماوات وذرات الأرضـــين. ومن أجل هذا الحب الذي كان في فطرتي، كان الله معي من أول أمري، حين ولدت وحين كنت ضريعا عند ظِئْري، وحين كنت أقرأ في المتعلمين.

وقـــد حُبِّبَ إلي منذ دنوت العشرين أن أنصر الدين، وأجادل الـــبراهمة والقسيســـين. وقـــد ألفت في هذه المناظرات مصنفات عديدة، ومؤلفات مفيدة، منها كتابي: "**البراهين**". كتاب نادر ما نُسج على منواله في أيام خالية، فليقرأه من كان من المرتابين. قد ســـللت فيه صوارم الحجج القطعية على أقوال الملحدين، ورميت بشهبها الشياطين المبطلين. قد خفض هام كل معاند بذلك السيف المســـلول، وتبيّنت فضيحتهم بين أرباب المنقول والمعقول، وبين المنصفين. فيه دقائق العلوم وشواردها، والإلهامات الطيبة الصحيحة والكشوف الجليلة ومواردها، ومن كل ما يجلّي درر معارف الدين

المـــتين. ولي كتـــب أخـــرى تشابهه في الكمال، منها: الكحل، والتوضيح، والإزالة، وفتح الإسلام، وكتاب آخر سبق كلها ألفته في هـــذه الأيـــام، اسمـــه: "دافع الوساوس"، هو نافع جدًا للذين يريدون أن يروا حسن الإسلام، ويكفّون أفواه المخالفين.

تلـــك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفهـــا، ويقبَلني ويصدّق دعوتي، إلا ذريةَ البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون.

ولمـــا بلغـــت أشد عمري وبلغت أربعين سنة، جاءتني نسيم الوحـــي بِـــرَيَّا عنايات ربي، ليزيد معرفتي ويقيني، ويرتفع حجبي وأكون من المستيقنين. فأول ما فتح عليّ بابه هو الرؤيا الصالحة، فكنـــت لا أرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وإني رأيت في تلك الأيام رؤيا صالحة صادقة قريبًا من ألفين أو أكثر من ذلك.. منها محفوظة في حافظتي وكثير منها نسيتها، ولعل الله يكررها في وقت آخر ونحن من الآملين.

ورأيت في غُلَواء شبابي وعند دواعي التصابي، كأني دخلتُ في مكان وفيه حفدتي وخدمي، فقلتُ: طهّروا فراشي، فإن وقتي قد جاء. ثم استيقظتُ وخشيت على نفسي وذهب وَهْلي إلى أنني من المائتين.

ورأيت ذات ليلة وأنا غلام حديث السن كأني في بيت لطيف نظيف، يُذكَر فيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: أيها الناس، أين رسول الله ﷺ؟ فأشاروا إلى حجرة، فدخلت مع الداخلين. فبشّ بي حين وافيته، وحيّاني بأحسن ما حييتُه، وما أنسى حسنه وجماله وملاحته وتحننه إلى يومي هذا. شغفني حبًا وجذبني بوجه حسين. قال: ما هــذا بيميــنك يا أحمد؟ فنظرت فإذا كتاب بيدي اليمنى، وخطر بقلبي أنه من مصنفاتي، قلتُ: يا رسول الله.. كتاب من مصنفاتي. قــال: مــا اســم كتابك؟ فنظرت إلى الكتاب مرة أخرى وأنا كالمــتحيرين، فوجدتــه يشــابه كتابًا كان في دار كتبي واسمه: "قطــبي". قلــت: يــا رسول الله، اسمه قطبي. قال: أرِني كتابك القطــبي. فلما أخذه ومسّته يده إذا هي ثمرة لطيفة تسرّ الناظرين. فشققها كما يشقق الثمر، فخرج منها عسل مصفى كماء مَعِين. ورأيــت بَلّــةَ العسل على يده اليمنى من البنان إلى المرفق، كانَ العســل يتقاطر منها.. وكأنه يريني إياه ليجعلني من المتعجبين. ثم أُلقــي في قلــبي أن عند أُسْكُفّة البيت ميّت قدر الله إحياءه بهذه الــثمرة، وقــدّر أن يكون النبي ﷺ من المحيين. فبينما أنا في ذلك الخــيال فإذا الميّتُ جاءني حيا وهو يسعى وقام وراء ظهري، وفيه ضعف كأنه من الجائعين. فنظر النبي ﷺ إلي متبسما، وجعل الثمرة قطعات وأكل قطعة منها، وآتاني كل ما بقي، والعسل يجري من

القطعـــات كـــلها، وقال: يا أحمد.. أعطه قطعةً من هذه ليأكل ويتقوى. فأعطيته، فأخذ يأكل على مقامه كالحريصين. ثم رأيتُ أن كُرســـي النبي ﷺ قد رُفع حتى قرب من السقف، ورأيته فإذا وجهـــه يـــتلألأُ كأن الشمس والقمر ذُرّتا عليه، وكنت أنظر إليه وعبراتي جارية ذوقًا ووجدًا، ثم استيقظت وأنا من الباكين.

فألقى الله في قلبي أن الميّت هو الإسلام، وسيُحييه الله على يدي بفـــيوض روحانـــية من رسول الله ﷺ، وما يدريكم لعل الوقت قريب، فكونوا من المتنظرين. وفي هذه الرؤيا رباني رسول الله ﷺ بـــيده وكلامه وأنواره وهدية أثماره. فأنا تلميذه بلا واسطة بيني وبينه، وكذلك شأن المحدَّثين.

وكنت ذات يوم فرغت من فريضة المساء وسننها، وأنا مستيقظ ما أخذني نوم ولا سنة وما كنت من النائمين. فبينما أنا كذلك إذا سمعـــت صـــوت صَـــكِّ الـــباب. فنظرت فإذا المدَكُّون يأتونني مسارعين. فإذا دنَوا مني عرفتُ أنهم خمسة مباركة.. أعني عليًّا مع ابنـــيه وزوجته الزهراء وسيد المرسلين. اللهم صل وسلم عليه وآله إلى يـــوم الديـــن. ورأيت أن الزهراء وضعتْ رأسي على فخذها ونظرتْ بنظراتِ تحنن كنتُ أعرف في وجهها. ففهمتُ في نفسي أن لي نسبة بالحسين وأشابهه في بعض صفاته وسوانحه، والله يعلم وهـــو أعلم العالمين. ورأيتُ أن عليًّا رضي الله عنه يريني كتابًا ويقول هذا

تفســـير القرآن.. أنا ألفته، وأمرني ربي أن أعطيك. فبسطتُ إليه يدي وأخذتُه. وكان رسول الله ﷺ يرى ويسمع ولا يتكلم كأنه حــزين لأجــل بعض أحزاني، ورأيته فإذا الوجه هو الوجه الذي رأيــتُ من قبل، أنارت البيت من نوره، فسبحان الله خالق النور والنورانيين.

وكنت ذات ليلة أكتب شيئا فنمت بين ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ ووجهه كالبدر التام، فدنا مني كأنه يريد أن يعانقني فكان مــن المعــانقين. ورأيت أن الأنوار قد سطعت من وجهه ونزلت عــليّ، كنــت أراها كالأنوار المحسوسة حتى أَيقَنتُ أني أدركها بالحس لا ببصر الروح. وما رأيتُ أنه انفصل مني بعد المعانقة، وما رأيتُ أنه كان ذاهبا كالذاهبين.

ثم بعــد تلك الأيام، فُتحت عليّ أبواب الإلهام، وخاطبني ربي وقال:

"يــا أحمد، بارك الله فيك. الرحمن علّم القرآن، لتنذر قومًا ما أُنــذرَ آبــاؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمرتُ وأنا أول المؤمــنين. يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفــروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. إنك اليوم لدينا مكين أمين. أنت مني بمنــزلة توحيدي وتفريدي، فحــان أن تعان وتعرف بين الناس. ويعلمك الله من عنده. تقيم

الشـــريعة وتحيي الدين. إنا جعلناك المسيح بن مريم. والله يعصمك مـــن عـــنده ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الـــناس. الحـــق من ربك فلا تكونن من الممترين. يا أحمدي أنت مـــرادي ومعي. أنت وجيهٌ في حضرتي. اخترتك لنفسي. قل إن كنـــتم تحبون الله فاتبعوني يحبِبْكم الله ويغفِرْ لكم ذنوبكم ويرحَمْ عليكم وهو أرحم الراحمين."

هذه نبذة من إلهاماتي، ومن جملتها إلهام: "إنا جعلناك المسيح بن مريم." **والله** قد كنت أعلم من أيام مديدة أنني جُعلت المسيح ابن مريم، وأني نازلٌ في منـــزله، ولكن أَخفيته نظرًا إلى تأويله، بل مـــا بدلـــت عقيدتي وكنت عليها من المستمسكين. وتوقفت في الإظهار عشر سنين، وما استعجلتُ وما بادرتُ وما أخبرتُ حبًّا ولا عـــدوًّا ولا أحـــدًا من الحاضرين. وإن كنتم في شك فاسألوا عـــلماء الهـــند كـــم مضت من مدة على إلهامي: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، أو اقرؤوا "**البراهين**".

وكنـــت أنتظر الخِيَرة والرضاء وأمر الله تعالى حتى تكرر ذلك الإلهـــام، ورُفع الظلام، وتواتر الإعلام، وبلغ إلى عدة يعلمها رب العـــالمين. وخوطبت للإظهار بقوله: (فاصْدَعْ بما تؤمر)، وظهرت علامـــات تعرفها حاسة الأولياء وعقل أرباب الاصطفاء، وجُلّي

الصبح، وأكّد الأمر، وشرح الصدر، واطمأن الجنان، وأفتى القلب، وتبين أنه وحي الله لا تلبيس الشياطين.

ثم ما اكتفيت بهذا بل عرضته على الكتاب والسنة، ودعوت الله أن يؤيدني، فدقّق الله نظري فيهما وجعلني من المؤيَّدين. وظهر عليّ بالنصوص البينة، القرآنية والحديثية، أن المسيح بن مريم عليه السلام قد تُوفي ولحِق بإخوانه من النبيين.

وكنت أعلم أن وفاة المسيح حق ثابت بالنصوص البيّنة القطعية، القرآنية والحديثية، وأعلم أن إلهامي لا غبار عليه ولا تلبيس ولا تخليط، ومع ذلك كان يقيني بأن اعتقاد المسلمين في نزول المسيح حق لا شبهة فيه ولا ريب، فعسُر عليّ تطبيقهما وكنت من المتحيرين. فما قنعت بالنصوص فقط، لأني وجدت في الأحاديث رائحة قليلة يسيرة من دُخْن الاختلاف بظاهر النظر، وإن كانت الدلائل القوية القاطعة معنا وبأيدينا، وكان القرآن معنا كله، بل ابتغيت معرفة تامةً نقية بيضاء التي يتلألأ كل شق من شقوقها وتبلّغ إلى الحق اليقين.

فتضرعتُ في حضرة الله تعالى، وطرحت بين يديه متمنيًا لكشف سر النزول وكشف حقيقة الدجال، لأعلمه علم اليقين وأرى به عين اليقين، فتوجهت عنايته لتعليمي وتفهيمي، وأُلهمتُ وعُلِّمتُ من لدنه أن النزول في أصل مفهومه حق، ولكن ما فهم

المسلمون حقيقته، لأن الله تعالى أراد إخفاءه، فغلب قضاؤه ومكره وابتلاؤه على الأفهام، فصرَف وجوههم عن الحقيقة الروحانية إلى الخـــيالات الجســـمانية، فكانوا بها من القانعين. وبقي هذا الخبر مكـــتومًا مســـتورًا كالحَبّ في السنبلة، قرنا بعد قرن، حتى جاء زمانـــنا، واغـــترب الإســـلام، وكثرت الآثام، وغلبت ملة عبدة الصـــليب، فصـــالوا على المسلمين بالافتراء والمَين، وأحلُّوا سَفْكَ عُشّاقٍ كانوا كصيد الحرمَين. فصُبّت علينا مصائب كنا لا نستطيع إحصـــاءها، وضـــاقت الأرض علينا، وتورمت مُقلتنا باستشراف الناصرين. فأراد الله أن يأتي بصبح الصداقة، ويعين طلاب الحقيقة، مـــن الأعـــالي والأداني، بنَضْوِ الوِشاح عن مخدَّرة المعاني، ويشفي صـــدور المؤمـــنين. وكنا أحق بها وأهلها لأنا رأينا بأعيننا إطراء المسيح وازدراء المصطفى، ودعوة الناس إلى ألوهيّة ابن مريم وسبِّ خير الورى ﷺ، وسمعنا السبّ مع الشرك والمَين، وأُحرقنا بالنارَين. فكشـــف الله الحقيقة علينا، لتكون النار علينا بردًا وسلامًا، وكان حقا على الله نصر المضطرين. فأخبرني ربي أن النـــزول روحاني لا جسماني، وقد مضى نظيره في سنن الأولين. وإن الله لا يبدل سنته ولا عاداته، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين.

والســـر في ذلك أن للأنبياء، عند هبِّ الأهوية المهلكة وابتداع المســالك الشاغرة، تدلّيات وتنــزلات إلى هذا العالم، فإذا جاء وقــتُ تدلّي نبي ونــزوله ٍبمجيء فتنة تؤذيه، يطلب من ربه محط أنــواره، ومظهــر إرادته وأنظاره، ووارث روحانيته، ليكون هذا المظهــر لــه من المنشطين. فيعدّ لــه ربه عبدًا من عباده، ويلقي إراداتــه في قلبه، فيكون هذا العبد أشدَّ مناسبة وأقربَ جوهرًا من ذلــك النبي، ويشابهه من حيث الهوية المبعوثية مشابهةً تامةً كاملة كأنّه هو، ويكمل ما تَزيَّفَ في قومه المخذولين. وذلك سر عظيم مــن الأسرار السماوية، ما يفهمه عقول سطحية، ولا يلقّاها إلا الذيــن أوتوا العلم من عند الله، وما كان لعين لاقت الاعتلال أن تجتلي الهلال، فطوبى للمبصرين.

وقــد جرت عادة الله تعالى على أنه لا يكشف قناع الأخبار الآتــية مــن كــل جهــة إلا في وقتها، ويبقي قبل الوقت بعض إغماضــات ومعان مطوية ومستورة مكتومة، ابتلاء للذين يجدون زمــان ظهورهــا، فــيفضّ الختم في زمانهم، ليهينهم أو يكرمهم بامتحانهم، وقد مضت سنته في فتنة المسلمين. ولا يرفع الأمان من ذلــك،[1] لأن الأمــر المقصود يبقى على حاله، مع قرائنه القوية

---

[1] الأصــل المحكم والخفير الأعظم في طرق المكاشفات الذي هو كقانون عاصم من سوء الفهم في تفسير النبوات الواقعة في هذا العالم العنصري علم

وصـــفاء زلالـــه، فلا يتطرق الاختلال إليه، وإنما يجدد الله حلل ظهـــوره في أعين الناس، ليرى من يعقد حَبْكَ النطاق للرحلة من خريبته كانوا آباؤه فيه ساكنين. والحق أن كل ظن فاسد ينشأ من ســـوء الفهم، وأما وعد الله فهو يظهر بلا خلاف، والله لا يخلف المـــيعاد. وكم مِن وعود أسنى لنا ثم أنجزَ لنا كما وعد وهو خير المـــنجزين. ولعمـــري، إن الســـفهاء لم يحفظوا كلام الله كله في أذهـــانهم، وآمنوا ببعض الآيات وكفروا ببعضها، وجعلوا القرآن والحديـــث عِضـــينَ. وأراهـــم أســـارى في سلاسل الاختلافات والتشـــاجرات، ولو أنهم تفكروا للتطبيق لفتح الله عليهم بابا من

تـــأويل الأحاديث الذي يعطى للصديقين. ولا يجوز صرفُ أمـــرٍ كشفي عـــن التأويلات المصرحة في هذا العلم إلا عند قيام قرينة قوية موصلة إلى الـــيقين، لأن هذا العلم إنما جُعل بمنـــزلة لغة كاشفة لأسرار المكاشفات، أُحكمـــتْ قواعدها وفُرض اتباعها للمؤمنينً. فكما أن اللغات المستعملة الجارية على الألسنة قاضية لحل التنازعات اللغوية في العالم السفلي وحجة قاطعة للمتكلمين، كذلك علم تأويل الأحاديث وقواعده التي رتبها لسان الأزل حكـــم مسلم لقضاء التنازعات الكشفية، ومن أبى هذا الحكم فقد جار جورا عظيما وهو من الظالمين. مثلا إذا احتذيت حذاء في رؤياك فلا يجـــوز لـــك عـــند تأويله أن تعني من الحذاء ما يُعنى في لغات هذا العالم الســـفلي، بـــل يجـــب علـــيك أن ترجع إلى لغة وضعها الله لذلك العلم الـــروحاني، فـــتؤول الحـــذاء زوجةً أو وُسْعةَ معاش. فخُذْ هذا السر فإنه ينجيك من آفات المخطئين. منه.

أبــواب المعرفة، ولكن غضوا وتركوا القرآن مهجورا، فطبع الله على قلوبهم وتركهم ضالين.

أما الدجال فاسمعوا أبين لكم حقيقته من صفاء إلهامي وزلالي، وهــو حجــة قاطعة ثقِّفت للمخالفين تثقيف العوالي، خذوه ولا تكونوا ناسين أو متناسين.

أيهــا الأعزة! قد كشف علي أن وحدة الدجال ليست وحدة شخصــية، بل وحدة نوعية، بمعنى اتحاد الآراء في نوع الدجالية، كما يدل عليه لفظ الدجال، وإن في هذا الاسم آياتٍ للمتفكرين. فالمــراد مــن لفظ الدجال سلسلة ملتئمة من همم دجالية، بعضها ظهــير للبعض، كأنها بنيان مرصوص من لَبِنٍ متحدة القالب، كل لبــنة تشــارك ما يليها في لونها وقوامها ومقدارها واستحكامها، وأُدخلــت بعضــها في بعض، وأشيدت من خارجها بالطين، أو كركــبٍ ردِف بعضهم بعضا، وهم - ممتطين شِمِلّةً مُشمعِلّة - يُرَون من شدة سرعتها رجلا واحدا في أعين الناظرين. ونظيره في القــرآن خبر الدخان، فإنه كان سلسلة خيالات متفرقة من شدة الجوع، وسمي بشيء واحد وقيل ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾[1] وهذا سر لا يعرفها إلا العرّافة، وما يُطلّ عليه فهمُ الغبيِّين.

---

[1] *سورة الدخان: ١١*

وقـــد جـــرت عادة الناس، عربا وعجما، أنهم إذا رأوا كيفية وحدانية في أفراد فيُنـــزلونها في منـــزل الواحد، نحو أدوية مختلفة، فـــإذا خُلط بعضها ببعض، ودُقّ وسُحق وحصل لها مزاج واحد، وأثـــر واحد، فما عليك من ذنب إن قلت إنه شيء واحد حصل من العجين.

وأنـــت تعلم أن الناس إذا اجتمعوا في أرض وألقوا فيها مراسي الســـكون، وحصـــل لهم نظام تمدني وتعلقَ بعضهم بالبعض تعلقا مســـتحكما، وتحقـــقَ النســـب والإضافات غير قابلة الانفكاك والـــزوال، واســـتقرّوا ومـــا أرادوا أن يرتحلوا منها إلى أرض من الأرضـــين، فـــإن شئت تسمي مجموعتهم: "بلدة"، وتجري على جماعـــتهم أحكام الواحد، وما هو واحد في الحقيقة، وما أنت من الملومـــين. وإن اتفق أنهم جاءوك للقائك فإن شئت قلت: "جاءني الـــبلد"، وذكرتهم كما يذكر الفرد الواحد، وما يعترض عليك إلا جاهل أو الذي كان من المتجاهلين. فكما أن الأماكن يطلق عليها اسم الواحد مع أنها ليست بواحدة، كذلك لا يخفى على القرائح الســـليمة، والذيـــن لهم حظ من أساليب لسان العرب ولطائف اســـتعاراتهم، أن أذيـــال هـــذه الاستعارات مبسوطة ممتدة جدًا، وليست محدودة في مورد خاص، فانظر حتى يأتيك اليقين.

وعجبــت لقــوم يــزعمون في الدجال أنه رجل من الرجال، ويقولــون إنــه كــان في زمن رسول الله ﷺ وهو إلى الآن من الموجوديــن. أُفٍّ لهم ولوهنِ رأيهم.. كيف يحكمون! ألا يعلمون أن رســول الله ﷺ قــال: أقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ. يعني بذلك أن الناس كلهم يموتون إلى مضي المائة، وما يكون فرد من الباقين. فما لهم يقرؤون "البخاري" و"المسلم" ثم يضلون المسلمين؟

أيهــا الأعزة، إن في هذا الاعتقاد مصيبتان عظيمتان قد أزجتا كثيرا من الناس إلى نيران الكفران، ومنعتاهم من مرتع الجِنان، فلا تخطوا صراطكم ولا تكونوا من المتخطين. أُولاهما المصيبة التي قد ذكــرت من استلزام تكذيب قول النبي ﷺ الذي أكده بالقسم، فإياكم وسوء الأدب وكونوا من المتأدبين. لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله، ولا تعصوا بعد ما بين لكم رسول الله ﷺ، واعلموا أنه صــادق صــدوق ما ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وحي يوحى. فاخفضــوا جــناح الذل، ولا تأبوا قول رسول الله ﷺ إن كنتم صالحين.

والمصــيبة الثانــية ظاهرة لا حاجة لها إلى البيان. ألا ترون إلى الفــرقان وتعلــيم الرحمن.. كيف أقام الناس على توحيد عظيم ونهــاهم عن سَنَنِ المشركين؟ فتفكروا في قلوبكم..كيف يمكن أن

يخـــرج الدجـــال كما تزعمون، ويحيي الأموات ويري الآيات، ويســـخر السحاب والشمس والقمر والبحار، وكان أمره إذا أراد شيئًا أن يقول لـــه كن فيكون؟ أهذا ما عُلّمتم من القرآن؟ أهذا تعلـــيم الفـــرقان؟ أهذا الذي سُفك له دماءُ سراة العرب وعظائمِ القريش ببدرٍ وفي كل مصافّ، وهضَمهم المسلمون هَضْمَ متلافٍ؟ اشهدوا ولا تكونوا من الكاتمين. كيف ينسخ تعليم القرآن وينبذ كالقشر، ويفيء المَنْشَرُ المَطْوِيّ إلى النشر، ويجيء الدجال المفاجئ لتضـــليل نوع البشر؟ لم تخرجون من خُلَع الصداقة وتنسون يوم الحشر؟ وتفسدون في الأرض بعد إصلاحها، اتقوا الله ولا تكونوا مـــن المعتدين. أيمكن أن السيّد الذي كسر الأصنام بالعصا، وإذا سُـــئل أغـــير الله قادر قال لا، أهو يعلّمكم أمورا خلاف القرآن الكريم وخلاف التوحيد العظيم؟ كلا.. إنه أغير من كل غيور لله وتوحيده، فلا تفتروا عليه عَضِيهة ولا تكونوا فريسة الشياطين.

هذان بلاءان في اعتقادكم، ومصيبتان على دينكم وتوحيدكم، وصلاحكم وسدادكم. وأمّا المعنى الذي بيّنت، ولتعليمه تحزمت، فكلـــه خـــير لا محذور فيه، ولا رائحة من شرك ولا من تكذيب النبي ﷺ، بل هو أقر للعين، وفيه نجاة من الثقلين، فاقبلوه وكونوا من الشاكرين.

وكيف تظنون في الذي هو في زعمكم من أبناء الغِيد، وتفوَّقَ مِــن رَأْدِ ضــعيفة لا من الشيطان المريد، أنه يتقوى كالشياطين، ويشــابهه في بعــض الأغـــاريد، بـــل يكون أزيد منهم ويصلب كالحديد. ويكون لـــه جسم لا يسع إلا في سبعين باعًا. تفكروا يـــا ذريـــة الحُرَّينِ! أيجوز أن يتعطل الله في وقت خروجه، ويقدر الدجـــال على كل أمر وكل ضيم. وتصير تحت أمره شمس وقمر ونـــار وماء وجنةٌ وخزائن الأرض وقطعة كل غيم. ويطوف على كـــل الأرض في ســـاعة، ويدخـــل المشارق والمغارب تحت لواء الطاعـــة، ويضـــع الفأس على رأس الناس، ويجعلهم شقَّيـــن ثم يحيـــــيهم مرة أخرى، ويري الخلق كذب آية الفرقان: ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾،[1] ويكون على كل شيء من الفعـــالين؟ يسحق التوحيد تحت أرجله وكان به من المستهزئين؟ سبحان ربنا عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

أيهـــا الـــناس.. إن تحت هذا النبأ سرٌّ، وفهم السر برٌّ، فاقبلوه بوجـــه طلـــيق وكونـــوا مسعدين. يرحم الله عليكم وهو أرحم الراحمين.

أيها الأعزة، هي العقيدة التي علّمني الله من عنده وثبّتني عليها، فمـــا استصـــوبه بعض الغبِيّين، وما استجادوا قولي هذا وارتابوا

[1] *سورة الزمر: ٤٣*

واســتنكروا واستعجلوا في إكفاري، وما أحاطوا على بِطانتي ولا ظِهــارتي ولا سِراري، ونحتوا بهتانات وأكفروا وجاءوا بمفتريات كالشــياطين، لــيفرُط بــتلك المروش إليّ ذم، أو يلحقني وَصْمٌ، وليختلــبوا القلــوب بمزخــرفاتهم، وأتراءى في أعين الناس من الكافرين. ورأيت نفوسهم قد ثعَطت وثلَطت، وقرِحت وتعفنت مِــن حقد وغل، وصاروا من الذين يُصعِرون ويُصلقون، ويؤذون الناس بحُمَة نطقهم، وينضنضون لُسْنَهم كَصِلٍّ، وما بقي فيهم من حبّ ولا لبّ، كأنهم في غيابة جُبّ، ومن المغرقين.

أيها الأعزة، إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دُعائي إلا فــرارًا، ثم إني دعوتهــم جهارًا، ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارا، فقلتُ استغفروا ربكم واستخيروا واستخبروا، وادعوا الله في أمــري يمددكــم بإلهامــات ويُظهر عليكم أخبارًا، فما سمعوا كــلمتي، وأعرضوا عتوًّا واستكبارًا، ورضوا بأن يكونوا لإخوانهم مكفــرين. ومــا كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بأحاديث شاهدة على ذلك إن كنتم صادقين. وهم يدرسون كتاب الله ويجدون فيه كــل مــا قلتُ لهم، ويقرؤون الصحاح ويجدون فيها ما أظهرتُ عليهم، ولكن ختم الله على قلوبهم وكانوا قوما عمين.

ولســتُ أرى أن الأحاديث كلّها موضوعة على التحقيق، بل بعضها مبنية على التلفيق، ومع ذلك فيها اختلافات كثيرة، ومنافاة

كبيرة، ولأجل ذلك افترقت الأمة، وتشاجرت الملة، فمنهم حنبلي وشافعي، ومالكي وحنفي، وحزب المتشيّعين. ولا شك أن التعليم كـــان واحـــدا، ولكن اختلفت الأحزاب بعد ذلك، فترون كل حـــزب بما لديهم فرحين. وكل فرقة بنى لمذهبه قلعة، ولا يريد أن يخرج منها ولو وجد أحسن منها صورة، وكانوا لعَماسِ إخوانهم متحصنين. فأرسلني الله لأستخلص الصياصي، وأستدني القاصي، وأُنذر العاصي، ويرتفع الاختلاف ويكون القرآن مالكَ النواصي، وقِـــبلةَ الديـــن. فلما جئتهم أكفروني وكذبوني ورموني ببهتانات وإفـــك مبين. وإني أرى علمهم مخسولا، وجِيْدَ تناصُفِهم مغلولا، وصُنْعَ عُذْراهم مطلولا، وأرى صورهم كالممسوخين.

وقد بعثني الله فيهم حكما فما عرفوني وحسبوني من الملحدين. آذوني بحصائد ألسنتهم، ورأيت منهم ظلمًا وهضمًا كثيرًا، وقلّبوا لي الأمـــور، وأرادوا أن يتخطفوني من الأرض، ولكن عصمني الله من شرورهم وهو خير العاصمين. ورأيت كل أحد منهم مارًّا في عَشْواه، وتاركًا سبيل رسول الله ﷺ وهداه، فقلت: أيها الحسداء الجهـــلاء.. أســـأتم فـــيما صنعتم، وحرَنتم فيما ظننتم. تجلِدون للاجـــتلاد، وأنا تحت أتراس الله حافظِ العباد، ولن تستطيعوا أن تضـــروني ولو أمحشَ الحقد جلودكم، وسوّد الغيظ خدودكم. يا حسرة عليكم! ما أرى فيكم المتضرع الخائف، خرِف التَّمْر وبقي

خـــرائفُ. وما أرى فيكم رائحة الحياة.. إن أنتم إلا كالأموات، وإن أنتم إلا كمذعوفين.

وأيمُ الله.. لطالمـــا قلت لهم: ألا لا تردوا مخاوفَ الإكفار، فإنها مقـــاحم الأخطار وفلوات التبار. تعالوا أَنْفِ ما رابكم، وأستسلّ كل سهمٍ نابَكم، فما كفّوا ألسنتهم، وما جاءوني كتقيّ أمين.

ثم قلـــت: أيهـــا العلماء، أرُوني نصوص كتاب الله لأوافقكم، وأروني أثر رسوله ﷺ لأرافقكم، فإني ما أجد في كتاب الله وآثار رســـوله ﷺ إلا مـــوت المسيح بن مريم، فأروني خلاف ذلك إن زعمتموني من الكاذبين. وإن كنتم على بيّنة من عند ربكم.. فلم لا تـــأتونني بســـلطان مبين؟ وإن شئتم أن تختبروني فتعالوا عاينوا آيـــات صدقي أو أروني شيئا من آياتكم. فإن بدا كذب فمي.. فمزّقوا أدمي، وأريقوا دمي، وإن غلبتُ وظهر صدق قولي، فإليكم من حولي. واتقوا الله ولا تعتدوا أمام ربكم في العصيان، فإن عينه عـــلى طـــرق الإنســـان، وهو يرى كل خطواتكم، ويعلم دقائق خطـــراتكم، فما لكم لا تخافونه؟ قد نزل الله في عرائكم فقوموا لـــه قانتين.

الإيمان نور البشرية، ونور الإيمان عرفان، ومن فقدهما فهو دودة لا إنسان. من عرف السر فقد عرف البر، فقوموا وتجسسوا اللُّبّ الـــذي هـــو بـــاطن الباطن ومعنى المعنى ونور النور، ولا تفرحوا

بالقشور. الحياة الحياة! البصارة البصارة! ولا تكونوا كالميتين. هذا ما قلت لهم، وفوضت أمري إلى الله. هو ربي، وجيدي تحت نيره، وأعلم أنه لا يخذلني ولا يضيعني، ولا يجعلني من التائهين.

والآن أيها الأعزة.. أبيّن لكم بعض حلمي ومكاشفاتي، **رأيت** فيها رسول الله ﷺ بعد ما رأيته في مستطرَف الأيام، فجعلني كالعِرْدام، وأعدّني للاصْلِخْمام، لأحارب الفراعنة والظالمين.

أيها السادة.. إني رأيته مرات، بعد ما وجدت منه بركات وثمرات، فالآن أبيّن بعضها لكم لعلكم تتفكرون في أمري، ولعلكم تنظرون إليّ بعين المبصرين. فإن القوم فرّوا مني كثور الوحش، وتركوا شطاط الإنسانية وحزامتها، وكانوا كجذوة ملتهبة، وقاموا بفَديد سَبُعِيٍّ وطبعٍ قِذَمٍّ كوَجين. وأرَوني سُهوكةَ ريّاهم، وسهومةَ محيّاهم، واتفقوا على إيذائي وازدرائي ببغي وطغيان، وسابقوا في الافتراء كفرسَي رهان، لكي لا يكونوا في إخوانهم من المقرَعين. فلما رأيت أرضهم قَفْرًا، وسماءهم مصحِية، أعرضت وجئت حضرتكم بمائي المَعين.

أيها الأعزة والسادة.. جئناكم راغبين في خيركم بهدية فيها لبن أثداء الأمهات الروحانية، فتعالوا لشربه وأتوني ممتثلين. والآن أبين الرؤيا إراحةً للسامعين.

أيهـــا الكـــرام.. **رأيت** في المنام كأني في حلقة ملتحمة، ورفقة مـــزدحمة، وأبـــــين بعـــض المعـــارف بجأش متين، ولسان مبين للحاضـــرين. ورأيـــت أن المكان رَبع لطيف نظيف، ينفي التَّرَحَ رؤيـــتُه، ويسرّ الناظرين هيئته، وكنت أخال أنه مكاني، فحبذا هو مـــن مكان، رأيت فيه سيد المرسلين ﷺ. ورأيت عندي رجلا من العـــلماء.. لا بـــل مـــن السفهاء.. جاثيا على ركبته، ينكر علي لغباوته، ويكلب علي اللجاج لشقاوته، ورأيته كالحاسدين.

فاشتد غضبي وقلتُ: تعسًا لهؤلاء العلماء.. إنهم من أعداء الدين. فقلـــت: هـــل من امرئ يخرجه من هذا المقام، كإخراج الأشرار واللـــئام، ويطهـــر المكان من هذا القرين الضنين؟ فقام رجل من خدامـــي، وهَمّ بإخراجه من أمام عيني ومقامي، ليؤمنني من ذلك الطـــنّين. فرأيت أنه أخذه وجعل يدفعه ويذُبّه ويذأَطه من المكان، ولـــه رطيط وكرب وفزع مع الاردمان، حتى أُخرج فأصبح من الغائبين.

فرفعت نظري فإذا حِذَتَنا رسول الله ﷺ قائم، وكأنه كان يرى كـــل ما وقع بيننا مواريا عيانَه. فأخذني هيبة من رؤيته، ونهضت أســـتقري مكانا يناسب شأنه، وقمتُ كالخادمين. فإذا دنوت منه ﷺ ونظـــرت إلى وجهـــه، فإذا وجهٌ قد رأيته من قبل.. ما رأيت وجهًا أحسن منه في الدنيا، فهو خاتم الحسينين والجميلين، كما أنه

خــاتم النبــيين والمرســلين. ورأيت في يده كتابًا فإذا هو كتابي "**المرآة**"، الذي صنّفته بعد "البراهين". وكان قد وضع إصبعًا على محــل فــيه مدحُه، وإصبعًا على محل فيه مدح أصحابه، وقد قيّد لَحْظَــه بهما وهو يتبسم ويقول: **هذا لي، وهذا لأصحابي**، وكان يــنظر إليه كالقارئين. ثم انحدرت طبيعتي إلى الإلهام، فأشار الرب الكريم إلى مقام من مقامات "**المــرآة**"، **وقال: "هذا الثناء لي"**. ثم استيقظت، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيــت في مــنام آخر كأني صرت عليًا ابن أبي طالب ﵁، والناس يتنازعونني في خلافتي، وكنت فيهم كالذي يُضام ويُمتهَن ويغشاه أدران الظنون وهو من المبرّئين. فنظر النبي ﷺ إلي.. وكنت أخال نفسي أنني منه بمنــزلة الأبناء وهو من آبائي المكرمين. فقال وهو متحنن: "**يا علي..دَعْهم وأنصارهم وزراعتهم**". فعلمت في نفســي أنــه يوصــيني بصرف الوجه من العلماء وترك تذكرهم والإعــراض عــنهم وقطــع الطمــع والحنين من إصلاح هؤلاء المفســدين. فإنهم لا يقبلون الإصلاح، فصرف الوقت في نصحهم في حكم إضاعة الوقت، وطمعُ قبول الحق منهم كطمع العطاء من الضــنين. **ورأيت** أنه يحبّني ويصدّقني، ويرحم عليّ، ويشير إلي أن عُكّازته معي وهو من الناصرين.

ورأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، و لم يبق لي إرادة ولا خطرة ولا عمل من جهة نفسي، وصِرت كإناء منثلم بل كشيء تأبَّطَـه شيءٌ آخر وأخفاه في نفسه حتى ما بقي منه أثر ولا رائحة وصار كالمفقودين. وأعني بعين الله رجوع الظل إلى أصله وغيبوبته فيه، كما يجري مثل هذه الحالات في بعض الأوقات على المحبين.

وتفصـيل ذلك أن الله إذا أراد شيئًا من نظام الخير جعلني من تجلياته الذاتية بمنـزلة مشيّته وعلمه وجوارحه وتوحيده وتفريده، لإتمـام مـراده وتكمـيل مواعيده، كما جرت عادته بالأبدال والأقطاب والصديقين. فرأيت أن روحه أحاط علي واستوى على جسمي، ولفّني في ضمن وجوده حتى ما بقي مني ذرة وكنت من الغائبين. ونظرتُ إلى جسدي فإذا جوارحي جوارحه، وعيني عينه، وأذني أذنه، ولساني لسانه. أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حـتى كنـت من الفانين. ووجدت قدرته وقوته تفور في نفسي، وألوهيته تتموج في روحي، وضُرِبت حول قلبي سرادقات الحضرة، ودقـق نفسـي سلطانُ الجبروت، فما بقيتُ وما بقي إرادتي ولا مُـناي، وانهدمـت عمـارة نفسي كلها، وتراءت عمارات رب العالمين. وانمحت أطلال وجودي، وعفت بقايا أنانيتي، وما بقيت ذرة من هويتي، والألوهية غلبت عليّ غلبة شديدةً تامةً، وجُذِبتُ إلـيها من شعر رأسي إلى أظفار أرجلي، فكنت لُـبًّا بلا قشور،

ودُهنًا بغير ثُفْل وبذور، وبُوعِدَ بيني وبين نفسي، فكنت كشيء لا يُــرى، أو كقطــرة رجعت إلى البحر، فستره البحر بردائه وكان تحت أمواج اليم كالمستورين.

فكنـــت في هـــذه الحالة لا أدري ما كنتُ من قبل وما كان وجـــودي، وكانـــت الألوهية نفذت في عروقي وأوتاري وأجزاء أعصـــابي، ورأيت وجودي كالمنهوبين. وكان الله استخدم جميع جوارحـــي، وملَكها بقوة لا يمكن زيادة عليها، فكنت من أخذه وتـــناولــه كأني لم أكن من الكائنين. وكنت أتيقن أن جوارحي ليست جوارحي، بل جوارح الله تعالى، وكنت أتخيل أني انعدمت بكـــل وجودي، وانسخلت من كل هويتي، والآن لا منازع ولا شـــريك ولا قابض يزاحم. دخل ربي على وجودي، وكان كل غضـــبي وحلمي، وحلوي ومرّي، وحركتي وسكوني لـــه ومنه، وصرت من نفسي كالخالين.

وبيـــنما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنا نريد نظامًا جديدًا.. سمـــاءً جديـــدة وأرضًا جديدة. فخلقتُ السماوات والأرض أولا بصورة إجمالية لا تفريق فيها ولا ترتيب، ثم فرقتها ورتّبتها بوضع هـــو مـــراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين. ثم خلقـــت السماء الدنيا وقلت: إنا زَيَّنّا السماء الدنيا بمصابيح. ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين.

ثم انحدرتُ من الكشف إلى الإلهام فجرى على لساني: "أردتُ أن أستخلف فخلَقتُ آدم، إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وكنا كذلك خالقين".

وألقي في قلبي أن الله إذا أراد أن يخلق آدم فيخلق السماوات والأرض في ستة أيام ويخلق كل ما لا بد منه في السماء والأرضين. ثم في آخر اليوم السادس يخلق آدم، وكذلك جرت عادته في الأولين والآخرين.

وألقي في قلبي أن هذا الخلق الذي رأيته إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعلِ الأسباب موافقة للمطلوب، وخلقِ كل فطرة مناسبة مستعدةً للحوق بالصالحين الطيبين. وألقي في بالي أن الله ينادي كل فطرة صالحة من السماء ويقول: كوني على عُدّة لنصرة عبدي وارحلوا إليه مسارعين. ورأيت ذلك في ربيع الثاني سنة ١٣٠٩هـ. فتبارك الله أصدق الموحين.

ولا نعني بهذه الواقعة كما يعنى في كتب أصحاب وحدة الوجود، وما نعني بذلك ما هو مذهب الحلوليين، بل هذه الواقعة توافق حديث النبي ﷺ، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة قرب النوافل لعباد الله الصالحين.

أيها الأعزة.. الآن أقص عليكم من بعض **واقعات** غيبية أظهرني ربي عليها ليجعلها آيات للطالبين. فمنها أن الله رأى أبناء عمي،

وغيرهم من شعوب أبي وأمي، المغمورين في المهلكات، والمستغرقين في السيئات، من الرسوم القبيحة والعقائد الباطلة والبدعات، ورآهم منقادين لجذبات النفس واستيفاء الشهوات، والمنكرين لوجود الله ومن المفسدين. ووجدهم أجهلَ خَلْقه بما يهذّب نفوسهم، وأَلَدَّهم للدنيا الدنية، وأذهلَهم عن ذكر الآخرة، وأغفلَهم عن جلال الله وسطوته وقهره وجوده وأمور العاقبة، والعاكفين على طواغيت الرسوم، الغافلين عن عظمة الله القيوم، والمنكرين للنبي المعصوم، ومن المكذبين. ورأى أنهم يأمرون بالمنكر والشرور، وينهون عن المعروف والخبر المأثور، ويطيلون الألسنة بتوهين رسول الله ﷺ والاستخفاف به، وصاروا للإلحاد والارتداد من المتشمرين. ورأى أنهم يسعون تحت الآثام إلى الآثام، ولا يخافون غضب الله الملك العلام، ولا يتوبون من سب رسول الله ﷺ بل كانوا عليه من المداومين. وكانوا لا يحفظون فروجهم، ولا يتركون دَوْرَقَهم ودُروجهم، وكانوا على هجو الإسلام من المصرين. وكانوا يغضبون غضب السباع مع ظلمة المعاصي والظلم والإيقاع، كأنهم سحاب ركام فيه شغب الرعد والبرق والصاعقة، ولا يخرج قطرة وَدَقٍ من خلاله، فنعوذ بالله من شر المعتدين.

وبينما هم كذلك إذ **اصطفاني** ربي لتجديد دينه، وإظهار عظمة نبيه ونشر رَيّا ياسمينه ﷺ، **وأمرني** لدعوة الخلق إلى دين الإسلام،

وملـــة خير الأنام، **ورزقني** من الإلهامات والمكالمات والمخاطبات والمكاشـــفات رزقًـــا حسنًا، و**جعلني** من المحدَّثين. فبلغ هذا الخبر وهـــذه الدعـــوة وهذا الدعوى أبناءَ عمي وكانوا أشد كفرًا بالله ورســـوله ومـــنكرين لقضـــاء الله وقدره ومن الدهريين. فاشتعل غضبهم حسدًا من عند أنفسهم، فطغوا وبغوا، واستدعوا الآيات اســـتهزاءً، وقـــالوا لا نعلم إلـــهًا يكلم أحدًا، أو يقدر أمرًا، أو يوحي إلى رجل وينبئ من شيء، إن هو إلا مكر مستمر قد انتاب من الأولين. وكله كيدٌ وخَتْرٌ وذَلاقةُ لُسْنٍ، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين. وكانوا يستهزئون بالله ورسوله ويقولون – قاتلهم الله – إن القرآن من مفتريات محمد (ﷺ) وكانوا من المرتدين. وكان القـــوم كله معهم، ولا يمنعونهم من هذه الكلمات ولا يراجعون، فكـــانوا يزيدون يومًا فيومًا في كفرهم وطغيانهم، ولم يكونوا من المزدجرين.

فاتفق ذات ليلة أني كنت جالسًا في بيتي، إذ جاءني رجل باكيًا، ففزعت من بكائه فقلت: أجاءك نعي موت؟ قال: بل أعظم منه. إني كنـــت جالسًـــا عند هؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله، فسبّ أحدهـــم رســـولَ الله ﷺ سبًّا شديدًا غليظًا ما سمعت قبله من فم كافـــر، ورأيـــتهم أنهم يجعلون القرآن تحت أقدامهم، ويتكلمون بكلمات يرتعد اللسان من نقلها، ويقولون إن وجود البارئ ليس

بشـــيء، وما من إله في العالم، إن هو إلا كذب المفترين. قلـــتُ: أوَ لم حذّرتك* من مجالستهم.. فاتق الله ولا تقعد معهم وكن من التائبين.

وكذلـــك ســـدَروا في غَلَواتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وسدَلوا ثـــوب الخـــيلاء يومًـــا فيومًا حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاتهم، ويصطادوا السفهاء بتلبيساتهم، فكتبوا كتابًا كان فيه سبّ رسول الله ﷺ وسبّ كلام الله تعالى، وإنكار وجود البارئ عز اسمه، ومع ذلك طلبوا فيه آيات صدقي مني وآيات وجود الله تعالى، وأرسلوا كـــتابهم في الآفاق والأقطار، وأعانوا بها كفرة الهند، وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا، ما سمع مثله في الفراعنة الأولين.

فـــلما بلغـــني كـــتابهم الذي كان قد صنفه كبيرهم في الخبث والعمـــر، ورأيـــتُ فـــيه سبّ رسول الله ﷺ سبًّا ينشق منه قلب المؤمـــنين، وتـــتقطع أكباد المسلمين، ورأيتُ فيه كلمات الأراذل والســـفهاء، وتوهـــين الشـــريعة الغراء، وهجو كلام الله الكريم، **فغضـــبت أسفا**، ونظرت فإذا الكلماتُ كلمات تكاد السماوات يـــتفطرن مـــنها. فتحدرت عبرات من مَذارف مآقي، وتصعدت زفـــراتي إلى الـــتراقي، وغلب علي بكاء وأنين. فغلّقت الأبواب، ودعـــوت الـــرب الوهـــاب، وطرحت بين يديه، وخررت أمامه

* *سهو، والصحيح: أو ما حذّرتك.*

ســــاجدًا، وقرِمـــتُ إلى نُصرته متضرعًا، وفعلتُ ما فعلتُ بلساني وجـــناني وعيناي ما لا يعلمها إلا رب العالمين. وقلتُ: يا رب.. يـــا رب انصر عبدك واخذل أعداءك. استجبني يا رب استجبني. إلامَ يُســـتهزأ بـــك وبرسولك؟ وحتّامَ يكذّبون كتابك ويسبّون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا معين.

فـــرحم ربي على تضرعاتي وزفراتي وعبراتي، وناداني وقال: إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، أُبيدهم مـــن تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين. إني أجعل نساءهم أرامل، وأبناءهم يتامى، وبيوتهم خرِبةً، ليذوقوا طعم ما قالوا وما كسبوا، ولكن لا أهلكهم دفعة واحدة، بـــل قلـــيلا قليلا لعلهم يرجعون، ويكونون من التوابين. إن لعنتي نازلـــة علـــيهم وعـــلى جدران بيوتهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ونســـائهم ورجـــالهم ونزيلهم الذي دخل أبوابهم، وكلهم كانوا ملعونين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقطعوا تعلقهم منهم، وبعُدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين.

هـــذه خلاصة ما ألهمني ربي، فبلّغت رسالات ربي، فما خافوا ومـــا صدقوا، بل زادوا طغيانًا وكفرًا، وظلّوا يستهزئون كأعداء الديـــن. فخاطـــبني ربي وقال: إنا سنريهم آيات مُبكية، وننـــزل علـــيهم همومًا عجيبة، وأمراضًا غريبة، ونجعل لهم معيشة ضنكًا،

ونصبّ عليهم مصائب فلا يكون لهم أحد من الناصرين.

فكذلك فعل الله تعالى بهم وأنقض ظهورهم بأثقال الهموم والديون والحاجات، وأنزل عليهم من أنواع البلايا والآفات، وفتح عليهم أبواب الموت والوفاة، لعلهم يرجعون أو يكونون من المتنبهين. ولكن قست قلوبهم، فما فهموا وما تنبهوا وما كانوا من الخائفين.

ولما قرب وقت ظهور الآية اتفق في تلك الأيام أن واحدًا من أعزّ أعزّهم الذي كان اسمه "أحمد بيگ"، أراد أن يملك أرض أخته التي كان بعلها مفقود الخبر من سنين، وكان هو ابن عمي، وكانت الأرض من ملكه، فمال أحمد بيگ أن يخلص الأرض من أيدي أخته ويستخلصها، وأن يستخرجها من قبضتها ثم يقتنصها، وأرادت هي أن تهبها وتمنّ على أخيها. وكنا لها ورثاء جميعًا على سواء، فرضي أبناء عمي لوجه بهذا، بما كانت أختهم تحته وبما كانوا له أقربين. كذلك. نعم، قد كان لي حق غالبًا عليهم، ولأجل ذلك ما كان لهم أن يهبوا الأرض قبل أن أرضى وأكون من الرّاضين.

فجاءت امرأة أحمد بيگ تطرح بين يدي لأترك حقي، وأرضى بهذه الهبة، ولا أكون من المنازعين. فكدتُ أرحم عليها وأهب الأرض لها تأليفًا لقلوبهم لعلهم يتوبون ويكونون من المهتدين. ثم

خشيت شر الاستعجال، في مال الغائب الذي هو مفقود الخبر والحال، فخوّفني تَبِعةُ أثماره وما فيه من الوبال. فاستحسنتُ استفتاء العليم الحكيم، وترقُّب إعلام الرب الرحيم، لأكون بَرِيًّا من غصب حق غائب، ولا أكون من ضيمي كقائبٍ، وأخرج من الذين يظلمون شركاءهم ويتركونهم كخائب، وكانوا في حقوقهم راغبين، ولا يخافون أن يأخذوهم مفاجئين. فارتدعت عن الهبة ارتداع المرتاب، وطويت ذكره كطيِّ السجلّ للكتاب، وكنت لحكم الله من المنتظرين.

وكنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، وما كدت أن أظن أنها قضية قد أراد الله بها ابتلاء قوم كانوا من المعتدين، الذين غلبت عليهم المجون والخلاعة والإباحة والدهرية، والتحقوا بالكفار بل كانوا أشد كفرًا منهم وكانوا قومًا فاسقين. فقلت لامرأة أحمد بيگ: ما كنت قاطعًا أمرا حتى أؤامر الله تعالى فيه، فارجعي إلى خِدْرك، وبلّغي ما سمعت أبا عُذْرك، وستجدينني - إن شاء الله - من المخلصين.

فذهبت، وأتى بعلها يسعى، فألح عليّ كالمضطرين، وكان يَخبِط كخبط المصابين، حتى أبكاه كُرْبتُه، وذوَتْ سكينته، وفاءَ إلى التضرع والاقشعرار، وكان أحشاؤه قد التهبت بطَوَى العَقار، وكان يتنفس كالمخنوقين. ووجدته بوَجْدِه المتهالك كأنّ الهم

سـيجدله، والغم يُفيح دمه، ويصول عليه الحزن كمغتالين. فلما رأيـت صَغْوَه وحزنه قد بلغ مراتب كماله، أخذني التحنن على حاله، وأشفقت على عينه ومبكاها، وقصدتُ أن أُريه يد النصرة وجدواها وعدواها، فأسرعت إلى تسليته كالمواسين. فقلت لـه: والله مـا زاغ قلبي وما مال، وما أنا من الذين يحبون المال، بل من الذين يتذكرون المآل والآجال، ولستُ شحيحًا على النعم كالذين هم كالنَّعم، وإنني أرحم عليك وسأُحسن إليك، وأعلم أن أنفَسَ القـربات تنفـيس الكربات، وأمتَنَ أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجـات، وكنـت لنصرتك من المتأهبين. ولكن أيم الله، لقد عاهدت الله على أنني لا أميل إلى أمرٍ فيه شبهة، ولا أضع قدمًا في موضع فيه زلـة، ولا أتلو المتشابهاتِ حتى أؤامر ربّي فيها، فالآن أفعـل كذلك وأرجو من الله خيرًا، فلا تكوننّ من القانطين. وإني أرى أن المؤامرة أقرب للتقوى، لأن الوارث مفقود، وما نتيقن أنه مـات أو هو حي موجود، فلا يجوز أن يستعجل في ماله كمال الميـتين. فالأولى أن تقصُر عن القيل والقال، حتى أؤامر ربي عالم الغيب ذا الجلال، وأستقري سبل اليقين. قال: ما مني خلاف، فلا يكـن لوعـدك إخـلاف. قلت: كل وعدي مشروط بأمر رب العالمين. فذهب وكان مِن وجده الذي تيّمه كالمعتلّين.

فتيمّمـــت حجرتي، والتزمت زاوية بقعتي، أتجشم إلى الله تعالى ليظهر عليّ أمره، ويفلِق حَبَّ الحقيقة من نواها، ويُري لبّ الأمر وقشـــره. فوالله ما أمسكتُ ريثما يُعقَد شِسْع، أو يُشَدّ نِسْع، إذا الوسَن أسرى إلى آماقي، وأُلهمتُ من الله الباقي، وأُنبِئت مَن أخبار ما ذهب وَهْلي قط إليها وما كنت إليها من المستدنين. فأوحى الله إلي أن اخطُبْ صبيته الكبيرة لنفسك، وقل لـــه: ليصاهرك أولا ثم ليقتبس من قبسك، وقل: إني أُمرت لأهبك ما طلبتَ من الأرض، وأرضًـــا أخرى معها، وأُحسن إليك بإحسانات أخرى، على أن تُـــنكحني إحـــدى بناتك التي هي كبيرتها، وذلك بيني وبينك فإن قبلت فستجدني من المتقبلين. وإن لم تقبل فاعلم أن الله قد أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك، فإن لم تزدجر فيصبّ علـــيك مصائب، وآخر المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثـــلاث سنين، بل موتك قريب، ويرِد عليك وأنت من الغافلين. وكذلـــك يموت بعلها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر، قضـــاءً مـــن الله، فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك لمن الناصحين. فعبس وتولى وكان من المعرضين.

ثم كتبت إليه مكتوبا بإيماء منّاني، وإشارة رحماني، ونمّقت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فاسمع أيها العزيز! ما لك اتخذت جِدّي عبثا، وحسبتَ تِــبري خبثا؟ ووالله ما أريد أن أشقّ عليك، وستجدني إن شاء الله من المحسنين. وها أنا أكتب بعهد موثق، فإنك إن قبلتَ قولي على رغــم أنف قبيلتي، فأفرض لك حصة في أرضي وخميلتي، ويرتفع الخلاف والنــزاع بهذه الوصلة من بيننا، ويصلح الله قلوب شعبي وعشــيرتي، وفي كل مُنيتك أقتفي صَغْوَك، وأزيل قَشْفَك، فتكون من الفائزين لا من الفائزين.

والحــق والحــق أقول.. إني أكتب هذا المكتوب بخلوص قلبي وجناني، فإن قبلت قولي وبياني، فقد صنعت لطفًا إليّ، وكان لك إحســانا عليّ، ومعروفًا لدي، فأشكرك وأدعو زيادة عمرك من أرحــم الراحمين. وإني أقيم معك عهدي، أني أعطي بنتك ثُلْثًا من أرضــي ومــن كل ما ملكته يدي، ولا تسألني خُطة إلا أعطيك إياهــا، وإني من الصادقين. ولن تجد مثلي في رعاية الصلة ومودة الأقارب وحقوق الوُصلة، وتجدني ناصر نوائبك، وحامل أثقالك، فــلا تضــيّع وقتك في الإباء، ولا تستنكر حبِّك ولا تكونن من الممترين.

وهــا أنا كتبت مكتوبي هذا من أمر ربي لا عن أمري، فاحفَظْ مكتوبي هذا في صندوقك فإنه من صدوق أمين. والله يعلم أنني فيه

صـــادق، وكـــل ما وعدت فهو من الله تعالى، وما قلت إذ قلت ولكـــن أنطقـــني الله تعـــالى بإلهامه، وكانت هذه وصية من ربي فقضيتها. ما كان لي حاجة إليك وإلى بنتك، وما ضيق الله علي، والنساء سواها كثيرة، والله يتولى الصالحين. فلا تنظر إلى مكتوبي بعـــين الارتـــياب، فإنـــه كتبـــته بإمحاض النصح والتزام الصدق والصـــواب، ودَعِ الجدال وانتظر الآجال، فإن مضى الأجل وما حصحص الصدق فاجعل حبلا في جيدي، وسلاسلا في أرجلي، وعذِّبْني بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين.

كنتم قد طلبتم آية من ربي، فهذه آية لكم. إنه يأخذ المنكرين من مكان قريب، ويختار ما كان أقرب التعذيبات في حقهم، وأدنى مـــن أفهامهم، وأشد أثرًا في أعراضهم وأجسامهم، ليري المحتالين ضعفهم ويكسر كبر الضائمين.

هذا ما كتبتُ إلى أحمد بيـــگ في سنة ١٣٠٤، فأعرض وأبى، وسكت وبكت، وعاف وُصْلتي وصلتي، وضاق ذرعًا من نميقتي، وكـــان مـــن المعـــادين. ومعه عاداني قومه وعشيرته الذين كانوا أقربين. وكانوا يعافون أن يزوّجوا بناتِهم أقاربَ مثلي، أو يزوجوا امـــرأً تحته امرأة أخرى. وكانت بنته هذه المخطوبة جاريةً حديثة الســـن عـــذراء، وكنت حينئذ جاوزت الخمسين. وكان جذوة المعـــاداة متطايرة، ونارها ملتهبة، فزيّن القدر لنَصَبِه ووَصَبِه هذه

الموانـــع في عينيه، فصار من المرتدعين. وكان يعلم صدقي وعفتي، وبالله ثقتي ومقتي، ولكن غلبت عليه الشَّقْوة وأنساه عاهتُه نباهتي، فكان من المنكرين المعرضين.

وما عراني حزن من ذلك الإنكار، بل فرحت فرحة المطلق من الإســـار، وهزة الموسر بعد الإحسار، وكنت كتبتُ إليه بإيماء الله القهـــار، فعلمتُ أن الله أتم حجته عليه وعلى عشيرته ولم يبق له الاعـــتذار، وعلمـــت أنه سيجعل كلماتي حسراتٍ على قلوبهم فسيذكرونها باكين.

ثم غلب قلبَه ذعر وضجر، وفجعه إلهامي، فمكث خمس سنين لا يـــزوج أحـــدًا بنـــته ولا يخطـــب خيفة من وعيد الله، وصار كالمتشحطين. فلما أنكحها فما مضى عليه إلا قريبًا من ستة أشهر إلا وقـــد أخذه الله وسلّط عليه داءً كالأرضة، وفوضه إلى قبضة المرضـــة، وعَرْكة الوعكة، إلى أن أذهب حواسَّه الأَنَفُ، واستشفّه الـــتلف، حتى نضَّى عنه قدر الله ثوب المحيا، وسلمه إلى أبي يحيى، ومـــات بميتةٍ محسرة، ونارٍ تطلع على أفئدةٍ، ورحل بالكربة والغم الغابـــر، وكـــم حســـراتٍ في بطون المقابر، وإن في هذا لآيات للمنكرين.

وعرا أهلَه وأقاربه ضجر ومصيبة، كانوا يضربون وجوههم من وبالِ الدُّرَخْمين. وهم الذين كانوا يقولون ما نعلم ما الله، إن هي

إلا حياتـــنا الدنـــيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. فوجدوا وجدًا عظـــيما لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، وبما رأوا أن الإلهام قد أرى ســـناه، وتـــراءت من كشف ساقه ساقاه، وظهرت من بدء أمره منتهاه، فكانوا مع حزنهم متخوّفين. ما تمضمضتْ مُقلتهم بنومها في تلـــك الأيام، ولا تمخضت ليلتهم عن يومها لغلبة هذا الظلام، وأحلّهـــم نزيل المصائب، فأحضروه شِواةَ الكبد وماء الأنين. فلما بلغهـــم نعيُ الحِمام، ووعيُ اللاطمات على وجوهَهم والحاطماتِ هـــامَهم بذكر الراحل عن المقام، انثالوا إلى عَقْوته موجفين، وإلى دويـــرته الخريـــبة موفضـــين. فأسالوا الغروب، وعطّوا الجيوب، وصـــكّوا الخـــدود، وشـــجّوا الرؤوس، وكانت النساء قلن في نياحـــتهم: قـــد أصبح اليوم عدونا، الذي أنبأنا قبل الوقت، من الصادقين.

فـــتفكروا أيهـــا الطلاب.. **أهذا أضغاث أحلام؟ أهذا افتراء إنســـان؟** واسألوا أهل المتوفى الذين يتندمون في أنفسهم، ويبكون على ميتهم، ويقولون: يا ويلنا إنا كنا خاطئين. وهنّأني ربّي وقال: (إنا مهلكو بعلِها كما أهلكنا أباها، ورادّوها إليك. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. وما نؤخّره إلا لأجل معدود. قل تربصوا الأجل وإني معكم من المتربصين. وإذا جاء وعد الحق.. أهذا الذي

كذبتم به أم كنتم عَمِين). هذا ما بشِّرتُ من ربي، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيـــت في منام كأني قائم في موطن وفي يدي سيف مسلول، قائمـــه في أكفي وطرفه الآخر في السماء، وله برق ولمعان، يخرج مـــنه نـــور كقطرات متنازلة حينا بعد حين. وإني أضرب السيف شمالا وجنوبًا، وبكل ضربة أقتل ألوفًا من أعداء الدين.

ورأيت في تلك الرؤيا شيخا صالحًا اسمه **عبد الله** الغزنوي، وقد مـــات من سنين، فسألته عن تأويل هذه الرؤيا، فقال: أما السيف فهـــي الحجـــج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين. وأما ضربك إياه شمالا وجنوبًا فهو إراءتك آيات روحانية سماوية وأدلة عقلية فلسفية للمنكرين. وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين، وإسكاتهم منها. هذا تأويل رؤياك وأنت من المؤيدين. وقد كنت في أيـــامي الـــتي كنت في الدنيا أرجو وأظن أن يخرج رجل بهذه الصـــفات، ومـــا كنـــت أستيقن أنه أنت وكنتُ عن أمرك من الغافلين.

ومنها أن الله بشرني وقال: "سمعتُ تضرعاتك ودعواتك، وإني معطيك ما سألت مني وأنت من المنعمين. وما أدراك ما أعطيك؟ آيـــة رحمـــةٍ وفضـــلٍ وقربةٍ وفتحٍ وظَفَرٍ. فسلام عليك أنت من

المظفَّرين. إنا نبشرك **بغلام** اسمه **عنمو ايل** * **وبشير**. أنيق الشكل دقـيق العقـل ومـن المقربين. يأتي من السماء، والفضل ينـزل بـنـزولـه. وهـو نور ومبارك وطيب ومن المطهرين. يُفشي الـبركات، ويغـذي الخَلق من الطيبات، وينصر الدين. ويسمو ويعـرج ويـرقى، ويعالج كل عليل ومرضى، وكان بأنفاسه من الشافين. وإنه آية من آياتي، وعَلَمٌ لتأييداتي، ليعلم الذين كذبوا أني معك بفضلي المبين، وليجيء الحق بمجيئه، ويزهق الباطل بظهوره، وليتجـلى قـدرتي ويظهر عظمتي، ويعلو الدين ويلمع البراهين، وليـنجو طـلاب الحياة من أكف موت الإيمان والنور، وليبعث أصـحاب القـبور من القبور، وليعلم الذين كفروا بالله ورسوله وكتابه أنهم كانوا على خطأ ولتستبين سبيل المجرمين. فسيعطى لك غـلام ذكـي مـن صلبك وذريتك ونسلك ويكون من عبادنا الوجـيهين. ضيف جميل يأتيك من لدنا. نقي من كل دَرَنٍ وشَينٍ وشَـنار وشرارة، وعيب وعار وعرارة، ومن الطيبين. وهو كلمة الله. خُلـق من كلمات تمجيدية. وهو فهيم وذهين وحسين. قد ملـئ قلبه علمًا، وباطنه حلمًا، وصدره سلمًا، وأعطي لـه نفَسٌ مسيحي، وبورك بالروح الأمين. يوم الاثنـين. فواهًا لك يا يوم

* *هذا اللفظ ورد في كتاب آخر لسيدنا أحمد عليه السلام بقراءة "عمّانوئيل، ويبدو أنه الأصح. انظُرْ " أنجام آتهم"، الخزائن الروحانية ج ١١ص ٦٢.*

الاثنين، يأتي فيك أرواح المباركين. ولد صالح كريم ذكي مبارك. مظهــر الأول والآخــر. مظهــر الحق والعَلاء، كأن الله نزل من الســماء. يظهــر بظهوره جلال رب العالمين. يأتيك نور ممسوح بعطــر الرحمن، القائم تحت ظل الله المنان. يفكّ رقاب الأسارى وينجي المسجونين. يعظم شأنه، ويُرفع اسمه وبرهانه، ويُنشَر ذكره وريحانــه إلى أقصى الأرضين. إمام هُمامٌ، يبارَك منه أقوام، ويأتي معه شفاء ولا يبقى سَقام، وينتفع به أنام. ينمو سريعًا سريعًا كأنه عِــردام، ثم يرفع إلى نقطته النفسية التي هي لــه مقام. وكان أمرًا مقضيًا، قدّره قادر علام. فتبارك الله خير المقدرين."[1]

[1] قد أخبر رسول الله ﷺ أن المسيح الموعود يتزوّج ويولد لــه. ففي هذا إشــارة إلى أن الله يعطيه ولدًا صالحًا يشابه أباه ولا يأباه، ويكون من عباد الله المكرمين. والسر في ذلك أن الله لا يبشر الأنبياء والأولياء بذريةٍ إلا إذا قدر توليد الصالحين. وهذه هي البشارة التي قد بُشرت بها من سنين ومن قبل هذه الدعوى، ليُعرفني الله بهذا العلم في أعين الذين يستشرفون وكانوا للمسيح كالمجلوذين.

وأمــا دفــن المسيح في قبر رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث فهذا سرّ معكــوم ورمــز مختوم، لا يعرفه إلا الذين يعلّمون من ربهم من الملهمين المعــزّزين. وحقيقته أن الله تعالى قد جعل قبر نبيه ﷺ مقرونا بالجنة، فهما صنوانِ من شجرة نور الحق، لا ينفك أحدهما من الآخر، وقِرابانِ للمعات مخفــيةٍ واصلة إلى الواصلين. وقد جرت عادة الله تعالى أنه يُدني قَــبرًا ⇦

ورأيــت في المــنام كأني أسرجتُ جوادي لبعض مرادي، وما أدري أيــن تأهّبي وأيّ أمر مطلبي، وكنتُ أحس في قلبي أنني لأمر مــن المشــغوفين. فامتطيتُ أجرَدي باستصحاب بعض السلاح، مــتوكلا عــلى الله كسنة أهل الصلاح، ولم أكن كالمتباطئين. ثم وجدتني كأني عثرتُ على خيل قصدوا متسلحين داري لإهلاكي وتباري، وكأنهم يجيئون لإضراري منخرطين. وكنتُ وحيدًا، ومع ذلك رأيتني أني لا ألبَس من خُوذ، غيرَ عُدَدٍ وجدها من الله كعُوذ، وقــد أنفتُ أن أكون من القاعدين والمتخلفين الخائفين. فانطلقتُ مجــدًّا إلى جهة من الجهات، مستقريًا إربي الذي كنت أحسبه من أكــبر المهمات وأعظم المثوبات، في الدنيا والدين، إذ رأيت ألوفًا مــن الناس، فارسين على الأفراس، يأتون إلي متسارعين. ففرحت برؤيــتهم كالخــبّاس، ووجدتُ في قلبي حَولا للجِحاس، وكنت أتلوهم كتُلُوِّ الصيادين. ثم أطلقت الفرس على آثارهم، لأدرك من

⇔ رســول الله ﷺ من المؤمن المتوفى كما يدني الجنة رزقًا منه وهو خير الــرازقين. فــإذا مات عبد له قرب ومصــافاة بالله تعــالى فيُدنى من قبر رسول الله ﷺ ومن الجنة بقدر هذا القرب والمصافاة في الدين. فالذي هو أشــد قربًا ومصافاةً هو أشد قربا بقبر رسول الله، كأنه داخل فيه وضجيع خاتم النبيين. فخُذْ هذه التمرةَ، وإياك والجمرة، واعلم أن المسيح قد أُنــزل على هذه الأرض كما خرج فيها الدجال، فلا تكن من المشائمين. منه.

فصِّ أخبارهم، وكنت أتيقن أنني لمن المظفرين. فدنوتُ منهم فإذا هـــم قـــوم دَروس البِزّةِ كريهُ الهيئة، مِيسمهم كميسم المشركين، ولباســـهم لـــباس الفاسقين، ورأيتهم مطلقين أفراسهم كالمغِيرين. وكنـــت أقـــيّد لحظي بأشباحهم كالرائين. وكنت أسارع إليهم كالكُماة، وكان فرسي كأنه يُزجِيه قائد الغيب كإزجاء الحَمولات بـــالحُداة، وكنـــت على طلاوة إقدامه كالمستطرفين. فما لبثوا أن رجعوا متدهدهًا إلى خميلتي، ليزاحموا حولي وحيلتي، وليُتلفوا ثماري ويزعجوا أشجاري، وليشنّوا عليها الغارات كالمفسدين. فأوحشني دخولهم في بستاني، وأُدهشتُ بإغراقهم وولوجهم فيها، فضجرت ضـــجرًا شـــديدًا وقلِـــق جناني، وشهد توسمي أنهم يريدون إبادة أثمـــاري، وكسر أغصاني. فبادرتُ إليهم، وظننت أن الوقت من مَخاشِي اللأواءِ، وصارت أرضي موطن الأعـــداء، وأوجست في نفســـي خـــيفةً كالضعيفين المزؤودين. فقصدت الحديقة لأفتش الحقـــيقة. فـــلما دخلتُ حديقتي، واستشرفت بتحديق حَدَقتي، واستطلعت طِلْعَ مقامهم، رأيتهم من مكان بعيد في بحبوحة بستاني ســـاقطين مصروعين كالميتين. فأفرخَ كربي وآمنَ سِربي، وبادرت إليهم جَذِلاً وبأقدام الفرحين. فلما دنوتُ منهم وجدتهم أصبحوا فرســـى كمـــوت نفس واحد ميتـــين ذليلين مقهورين. سُلخت جلودهم، وشُجّت رؤوسهم، وذُعطت حلوقهم، وقطعت أيديهم

وأرجلهم، وصُرعوا كالممزَّقين، واغتيلوا كالذين سقط عليهم صاعقة فكانوا من المحرَقين. فقمت على مَصارعهم عند التلاقي، وعبراتي يتحدرن من مآقي، وقلتُ: يا رب، روحي فداء سبيلك، لقد تبتَ عليّ ونصرت عبدك بنصرةٍ لا يوجد مثله في العالمين. رب، قتلتَهم بأيديك قبل أن قاتلَ صِرْعانٍ، وحاربَ حِتْنانٍ، وبارزَ قِتْلانٍ، تفعل ما تشاء وليس مثلك في الناصرين. أَنت أنقذتني ونجيتني، وما كنت أن أُنجى من هذه البلايا لولا رحمتك يا أرحم الراحمين. ثم استيقظت وكنت من الشاكرين المنيبين، فالحمد لله رب العالمين.

وأوّلت هذه الرؤيا إلى نصرة الله وظفره بغير توسط الأيدي والأسباب، ليُتمّ علي نعماءَه ويجعلني من المنعمين. والآن أبين لكم تأويل الرؤيا لتكونوا من المبصرين.

فأما شجّ الرؤوس وذَعْطُ الحلوق فتأويله كسر كبر الأعداء وقصم ازدهائهم وجعلهم كالمنكسرين.

وأما تقطيع الأيدي فتأويله إزالة قوة المباراة والمماراة، وإعجازُهم وصدّهم عن البطش وحيلِ المقاومات، وانتزاعُ أسلحة الهيجاء منهم، وجعلُهم مخذولين مصدودين.

وأما تقطيع الأرجل فتأويله إتمام الحجة عليهم وسدّ طريق المناص، وتغليق أبواب الفرار وتشديد الإلزام عليهم، وجعلُهم

كالمسجونين. وهذا فعل الله الذي قادر على كل شيء، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويهزم من يشاء ويفتح لمن يشاء، وما كان لــه أحد من المعجزين.

إن الذين كذبوا رسله، وآذوا عباده، وكفروا بآيات الله ولقائه، أولــئك يئســوا مــن رحمته، وأرداهم ظنهم، وأهلكهم كبرهم، فحبطت أعمالهم وصاروا هالكين.

يــا أيهــا الذيــن آمنوا اتقوا الله، ولا تتخلفوا عن داعي الله، وكونــوا مع الصادقين. لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم، فكيف آسى على قوم لا يحبون الناصحين؟

ذكر بعض الأنصار
شكرًا لنعمة الله الغفار

مــا زلتُ مذ أُمِرتُ من حضرة الرب، وأُحييت من الحي ذي العجب، أَحِنّ إلى عيان أنصار الدين، ولا حنينَ العطشان إلى الماء المعــين. وكنــت أصــرخ في ليــلي ونهاري، وأقول يا ربّ من أنصاري؟ يا رب من أنصاري؟ إني فرد مهين.

فلما تواتر رفع يد الدعوات، وامتلأ منه جوّ السماوات، أجيب تضرعي، وفارت رحمة رب العالمين. فأعطاني ربي صديقا صدوقا، هــو عين أعواني، وخالصة خُلصاني، وسلالة أحبائي[1] في الدين

[1] **حاشــية**: ومــن الأحــباء في الله منشي زين الدين محمد إبراهيم بمبئ، والمولوي غلام إمام منيبوري، وحبي في الله المولوي غلام حسن بشاوري، ومحيي الدين الشريف تونتي كورن، والسردار محمد ولايت خان المدراسي، وحــبي في الله السيد النجيب المولوي محمد أحسن، وحبي في الله المولوي عبدالكريم السيالكوتي- سلمه الله - الذي أيدني وأَمدّني في ترجمة مكتوبي هــذا وهــو من المحبين المخلصين، وهو في هذه الأيام عندي. كان لِهوى ملاقاتي واستحسان مقاماتي أرغبَ في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب، فجزاه الله وثبّتــه على سبيل الصــدق والصواب،⇦
⇨ورحمه وهو خير الراحمين. ومنهم ميرزا خدا بخش وهو في هذه الأيام

المـــتين. اسمـــه كصفاته النورانية **نور الدين**. هو بَهيرَوي مولدًا، وقُرَشـــي فـــاروقي نســـبًا، من سادة الإسلام ومن ذرية النجيبين الطيـــبين. فوصـــلتُ بوصوله إلى الجَذْل المفروق، واستبشرت به كاستبشار السيد (ﷺ) **بالفاروق**، ولقد أُنسيتُ أحزاني، مذ جاءني ولقّاني، ووجدته في سبل نصرة الدين من السابقين. وما نفعني مال

عندي. شاب صالح مخلص، شرح الله صدره لحبي، وأترع ذيله من ثمرات الإخـــلاص، وثبـــته مـــع الثابتين. ومنهم حبي في الله الحكيم فضل الدين البهيروي، وحبي في الله الشيخ رحمة الله الـــگـــجراتي، وحبي في الله السيد أمـــير عـــلي شـــاه، والسيد حامد شاه. وحبي في الله المنشي غلام القادر المعروف بالفصيح السيالكوتي. وحبي في الله النواب محمد علي خان رئيس مالير كوتله، وحبي في الله السيد محمد تفضل حسين أتاوي، وحبي في الله السيد الهادي، وحبي في الله محمد خان، والمنشي محمد أرورا، والمنشي ظفر أحمد كفورتلوي، وحبي في الله المولوي محمد مردان علي، والمولوي محمد مظهر علي حيدرآبادي، وحبي في الله المولوي برهان الدين الجهلمي، وحبي في الله مـــير ناصـــر نـــواب الدهلوي، وحبي في الله القاضي ضياء الدين قاضيكوتي، وحبي في الله المولوي السيد محمد عسكري خان، وحبي في الله القاضي غلام المرتضى، وحبي في الله عبد الحكيم خان، وحبي في الله رشيد الديـــن خان، وحبي في الله السيد خصلت علي شاه، وحبي في الله المنشي رستم علي، وحبي المنشي عبد الله السنوري، والميرزا محمد يوسف بيـــگ الســـامانوي، والمنشـــي محمد حسين المراد آبادي، والقاضي خواجة علي اللدهـــيانوي. هؤلاء من أحبائي. منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص، وكلهم من المخلصين.

أحد كماله الذي آتاه لوجه الله، ويؤتي من سنين. قد سبق الأقران في البراعة والتبرع والجدوى، ومع ذلك حلمه أرسخ من رَضوى. نــبَذ العُلَقَ لله تعالى، وجعل كل اهتشاشه في كلام رب العالمين. رأيــت الــبذلَ شِــرْعتَه، والعلم نُجْعتَه، والحلم سيرته، والتوكل قوتــه، ومـــا رأيت مثله عالمًا في العالمين، ولا في خُلقٍ مِمْلاقٍ من المــنعمين، ولا في الله ولله من المنفقين. وما رأيت **عبقريًا** مثله مذ كنت من المبصرين.

ولما جاءني ولاقاني ووقع نظري عليه، رأيته آيةً من آيات ربي، وأيقنت أنه دُعائي الذي كنت أداوم عليه، وأُشْرِبَ حسّي ونبّأني حَدَسِــي أنــه مــن عباد الله المنتخبين. وكنت أكره مدح الناس وحمدهم وبثَّ شمائلهم، خوفًا من أنه يضر أنفسهم، ولكنني أرى أنــه مــن الذيــن انكسرت جذباتهم النفسية، وأزيلت شهواتهم الطبعية، وكان من الآمنين.

ومــن آيــات كمالــه أنه لما رأى جروح الإسلام، ووجده كالغريب المستهام، أو كشجر أُزعجَ من المقام، أشعرَ همًّا، وانكدر عيشه غمًّا، وقام لنصرة الدين كالمضطرين. وصنف كتبًا احتوت عــلى إفــادة المعاني الوافرة، وانطوت على الدقائق المتكاثرة، ولم يسمع مثلها في كتب الأولين. عباراتها مع رعاية الإيجاز مملوّة من الفصاحة، وألفاظها في نهاية الرشاقة والملاحة، تسقي شرابًا طهورًا

للـــناظرين. ومثل كتبه كحرير يضمَّخ بعبير، ثم يُلَفّ فيه من درر ويواقيتَ ومسك كثير، ثم يُرتَن فيه العنبر ويجعل كله كالعجين.

ولا شـــك أنها جامعة ما تفرق في غيرها من الفوائد، فاقت ما عداهـــا لكـــثرة ما حواها من الشوارد والزوائد، ولجذب القلوب بحـــبال الأدلة والبراهين. طوبى لمن حصّلها وعرفها وقرأها بإمعان النظر.. فلا يجد مثلها من معين. ومن أراد حلَّ غوامض التنـــزيل، واستعلامَ أسرار كتاب الرب الجليل، فعليه بالاشتغال بهذه الكتب وبـــالعكوف علـــيها، فإنها كافلة بما يبغيه الطالب الذهين. يُصبي القلـــوب أَريجُ ريحانها، والثمرات مستكثرة في أغصانها، ولا شك أنهـــا جنة قُطوفها دانية، لا يُسمَع فيها لاغية، نُزُلٌ للطيّبين. منها: "فصل الخطاب لقضايا أهل الكتاب"، ومنها: "تصديق البراهين". تناسَـــقَ فـــيها جزيل المعاني مع متانة الألفاظ ولطافة المباني، حتى صارت أسوة حسنة للمؤلفين، ويتمنى المتكلمون أن ينسجوا على مـــنوالها، وترنمت بالثناء عليها ألسنة النِحْريرين. جواهرها تفوق جواهر النحور، ودررها فاقت درر البحور، وإنها أحسم دليل على كمالاتـــه، وأقطع برهان على ريّـــا نفحاته، وستعلمون نبأها بعد حين.

قد شمر المؤلف الفاضل فيها لتفسير نكات القرآن عن ساق الجِدِّ والعـــناية، واعتنى في تحقيقه باتفاق الرواية والدراية، فواهًا لهممه

العالية، وأفكاره الوقّادة المَرضية، فهو فخر المسلمين. ولــه ملكة عجيبة في استخراج دقائق القرآن، وبثّ كنوز حقائق الفرقان، ولا شــك أنه ينوَّر من أنوار مشكاة النبوة، ويأخذ نورًا من نور النبي ﷺ بمناســبة شــأن الفــتوة، وطهارة الطين. امرؤ عجيب، وفتى غريب، تتفجر أنهار أنوار الأسرار بلمحة من لمحاته، وتتدفق مناهل الأفكار برَشْحةٍ من رشحاته، وهذا فضل الله يهب لمن يشاء وهو خير الواهبين.

لا ريب في أنه نخبة المتكلمين، وزبدة المؤلفين. يشرب الناس من عُــباب زُلالــه، ويُشترى كشرابٍ طَهورٍ قواريرُ مقاله، هو فخر الــبَرَرة والخِيَرة وفخر المؤمنين. في قلبه أنوار ساطعة من اللطائف والدقــائق، والمعارف والحقائق، والأسرار وأسرار الأسرار ولمعات الروحانــيين. إذا تكلم بكلماته النظيفة الطيبة، وملفوظاته البديعة المــرتجلة المبتكرة، فكأنه يصبي القلوب والأرواح بالأغاني اللطيفة، والمزامير الداوودية الذفيفة، ويجيء بخارق مبين. يخرج الحكمة من فمه عند سرد الحديث وسَوق الكلام، كأنها عُبُب مندفقة متوالية متصاعدة إلى أفواه السامعين.

وإني قــد أطلقــتُ أَجْرَدَ فكري إلى كمالاته، فوجدته وحيدَ الدهــر في علومه وأعماله وبرّه وصدقاته، وأنه لَوْذَعِيٌّ أَلْمَــعِيّ، نخبة البررة، وزبدة الخيرة. أعطي لــه السخاء والمال، وعُلّقت به

الآمال، فهو سيد خَدَمِ الدين، وإني عليه من الغابطين. ينـــزل أهل الآمال بساحته، ويستنـــزلون الراحة من راحته، فلا يَلوي عِذارَه عمن ازداره، وأمَّ دارَه، وينفَـــح بعُرْفه من وافاه من المملقين.

وهـــو يجد للُقياني بكمال ميل الجنان، كوَجْدِ المثري بالعقْيان، يـــأتي من بلاد نازحة على أقدام المحبة واليقين. فتى طيب القَلب، يحبّنا ونحبّه، يسعى إلينا بجهد طاقة، ولو وجد فواقَ ناقة. انثال الله علـــيه من جوائز المجازاة، ووصائل الصلات، وأيد ببقائه الإسلام والمســـلمين. لـــه بقلبي عُلَقٌ عجيبة، وقلبه نَفوح غريبة. يختار في حـــبّي أنواع الملامة والتعنيف، ومفارقة المألف والأليف. ويتسنّى لـــــه هجر الوطن لسماع كلامي، ويدَعُ التذكر للمعاهد لحبّ مقـــامي، ويتـــبعني في كل أمري كما يتبع حركة النبض حركة التنفس، وأراه في رضائي كالفانين.

إذا سئل أعطى و لم يتباطأ، وإذا دعي إلى خطّة فهو أول الملبين. قلبه سليم، وخلقه عظيم. كرمه كغزارة السحب، وصحبته يُصلح قلوب المتقشفين. ووَثْبُه على أعداء الدين وثبة شبلٍ مثار، قد أمطر الأحجـــار على كفار، ونقّر عن مسائل الويديين ونقّب، ونزل في بقعـــة النَّوكى وعاقبَ، فجعل سافل أرضهم عاليَها، وثقّف كتبه تثقـــيف العوالي لإفضاح المكذبين. فأخزى الله الويديين على يده، فكأن وجوههم أُسِفّتْ رمادا، وأُشربت سوادًا، وصاروا كالميتين.

ثم أرادوا الكـــرة، ولكن كيف يحيا الأموات بعد موتهم، فرجعوا كالمخفِقين. ولو كان لهم نصيب من الحياء لما عادوا، ولكن صار الوقاحـــــة كالتحجـــيل في حِلْـــية هـــذا الجيل، فهم يصولون كمذبوحين.

والفاضـــل النبيل الموصوف من أحب أحبائي، وهو من الذين بايعوني وأخلصوا معي نية العقد، وأعطوني صفقة العهد، على أن لا يؤثروا شيئًا على الله الأحد، فوجدته من الذين يراعون عهودهم ويخافون رب العالمين. وهو في هذا الزمن الذي تتطاير فيه الشرور، كالمـــاء المعين الذي ينـــزل من السماء، ومن المغتنمين. ما آنستُ في قلب أحد محبةَ القرآن كما أرى قلبه مملوًّا بمودّة الفرقان. شغفه الفـــرقان حُبّا، وفي ميسمه يبرُق حبٌّ آيات مبين. يُقذَف في قلبه أنـــوار مـــن الله الرحمن، فيرى بها ما كان بعيدًا محتجبًا من دقائق القـــرآن، ويَغـــبِطني أكثر مآثره، وهذا رزق من الله، يرزق عباده كيف يشاء وهو خير الرازقين.

قد جعله الله من الذين ذوي الأيدي والأبصار، وأودع كلامه مـــن حـــلاوة وطـــلاوة لا يوجد في غيره من الأسفار. ولفطرته مناسبة تامة بكلام الرب الجليل، وكم من خزائن فيه أُودعتْ لهذا الفـــتى النبـــيل. وهذا فضل الله لا منازع له في أرزاقه، فمن عباده رجـــال ما أعطي لهم بُلالة، ورجال آخرون أعطي لهم غَمْر، وما

هـــم به من المتعللين. ولعمري إنه امرؤُ مواطنَ عظيمة، صدَق فيه قول من قال: "لكل علم رجال، ولكل ميدان أبطال"، وصدَق فيه قـــول قـــائل: "إن في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا". عافاه الله ورعاه، وأطال عمره في طاعته ورضاه، وجعله من المقبولين.

إني أرى الحكمـــة قـــد فاضت على شفتيه، وأنوار السماء قد نزلـــت لديه، وأرى تواتر نزولها عليه كالمتضيفين. كلما توجه إلى تـــأويل كتاب الله بجمع الأفكار، فتح ينابيع الأسرار، وفجر عيون اللطائف، وأظهر بدائع المعارف، التي كانت تحت الأستار، ودقّق ذرات الدقـــائق، ووصل إلى عروق الحقائق، وأتى بنور مبين. يمدّ العقـــلاءُ أعـــناقهم في وقـــت تقاريره متسلمين لإعجاز كلامه وعجائـــب تـــأثيره. يُري الحق كسبيكة الذهب، ويُزيح شبهاتِ المخالفين.

إن الوقـــت كـــان وقت صراصر الفلسفة، بل فسُد وخبُث، ومـــلمَلَ كلَّ حدثٍ ما حدَث، وكان العلماء معروق العظم صفر الرايحة من دولة العلوم الروحانية، وجواهر الأسرار الرحمانية، فقام هـــذا الفتى وسقط على أعداء الرسول ﷺ كسقوط الشهب على الشـــياطين. فهـــو كحدقة العيون في العلماء، وفي فَلك الحكمة كالشمس البيضاء. لا يخاف إلا الله، ولا يرضى بالآراء السطحية، التي منبَتها النَّجْد غيرُ خَوْر، بل يبلغ فهمه إلى أسرار دقيقة المآخذ

المخفية في أرض غَوْر. فللّه درّه، وعلى الله أجره. قد أعاد الله إليه دولـــة منهوبة، وهو من الموفقين. والحمد لله الذي وهب لنا هذا الحِبّ في حينه ووقته وأيام ضرورته، فنسأل الله تعالى أن يبارك في عمـــره وصـــحته وثروته، ويعطينا أوقاتا مستجابة للأدعية لـــه ولعشـــيرته، ويشـــهد فراستي أن هذه الاستجابة[1] أمر محقوق لا

---

[1] **حاشية**: اعلم أن استجابة الدعاء سر من أسرار حكمة ربانية خصص بها حـــزب الروحانيين. وقد جرت عادة الله أنه يسخر عالم المواليد وتأثيرات أجـــرام السماء وقلوب الناس عند دعوات أوليائه المقربين. فربما يستحيل الهواء الرديّ من عقد هممهم إلى صالحة طيبة، والصالحة إلى فاسدة وبائيّة، والقلـــوب القاسية إلى طبائع لينة متحننة، والمتحننةُ إلى قاسية غليظة، بإذن المتصـــرف في الســـماء والأرضين. وإذا اشتدت حاجة ولي الله إلى ظهور شـــيء معدوم، ويتوجه لظهوره باستغراق تام، فيحدث هذا الشيء بعقد همـــته، وكذلـــك إذا توجه الولي لإعدام الموجود فإذا هو من المعدومين. وذلك أصل الخـــوارق لا تحسها حاسة حكماء الظاهر، ولا يذوق طعمها عقـــول الفلسفيين. وإن للأولياء حواسا آخر تتنـــزل من تلقاء الحق. فإذا رزقوا من تلك الحواس فيتحلون بحلل مبتكرة، ويسمعون أغنية جديدة، ما سمعت أذن نظيرها في العالمين. يصفى عقولهم بكمال الصفاء، ويؤتون علم ذرائـــع الاستنبـــاط والاجتهاد. يُعجب العقولَ دقة غموضها، ويكفر⇦ ⇦ بهـــا كل غبي غير ذهين. وكان َالله معهم في كل حالهم، وكانت يده عـــلى مهمـــاتهم وأفعالهم. إذا غلقوا بابًا في الأرض فتغلق في السماء، وإذا فتحوا فتفتح في الأفلاك. دارت السماوات بدورة عزيمتهم، وقلب الأمور

مظـــنون، ونحن في كل يوم من الآملين. والله إنّي أرى في كلامه شـــأنا جديـــدًا، وأراه في كشف أسرار التنـــزيل وفهم منطوقه ومفهومـــه مـــن الســـابقين. وإني أرى عـــلمه وحلمه كالجبلين المتناوحين.. ما أدري أيهما فاق الآخر، إنما هو بستان من بساتين الديـــن المـــتين. رب أنزل عليه بركات من السماء، واحفظه من شـــرور الأعـــداء، وكن معه حيثما كان، وارحم عليه في الدنيا والآخرة، وأنت أرحم الراحمين. آمين ثم آمين.

والحمـــد لله أولا وآخـــرا، وظاهرًا وباطنًا، هو وليي في الدنيا والآخـــرة. أنطقـــني روحه، وحركتني يده، فكتبت مكتوبي هذا بفضـــله وإيمائه وإلقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو القادر في السماء والأرضين.

رب، كتبـــت هذا المكتوب بقوتك وحولك ونفحات إلهامك، فـــالحمد لـــك يـــا رب العالمين. أنت محسني ومنعمي، وناصري ومـــلهمي، ونـــور عيني، وسرور قلبي، وقوة إقدامي. أموت وأنا شـــاكر نعمائك بحالي وقالي وكلامي. يشكرك عظامي في قبري، وعَجـــاجي في جَدَثـــي، وروحي في السماء. غلبت نعمتك على شـــكري، واســـتغرقت في نعمـــائك عيني وأذني وجناني ورأسي

بتقلـــب هممهم، ويري الله خلقه عزهم ووجاهتهم ليرغّب المتفطنين إليهم والسعيدين. منه.

وجوارحـــي وظاهري وباطني، وأنت لي حصن حصين. أعوذ بك مـــن آفـــات الأرض والسماء، ومن كل حاسد صوّاغٍ باللسان، وروّاغٍ من الحق العِيان، ومن كل لسانٍ سليط، وغيظٍ مستشيط، ومـــن كل ظلمة وظلام، ومن كل من يكون من المسيرة إليك من المانعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القصيدة

هذه القصيدة أنيقة رشيقة، مملوّة من اللطائف الأدبيّة والفرائد العربية، في مدح سيدي وسيد الثقلين، خاتم النبيين، محمد الذي وصفه الله في الكتاب المبين، اللهم صلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين. وليست هذه من قريحتي الجامدة، وفطنتي الخامدة، وما كانت رويّتي الناضبةُ ضليعَ هذا المضمار، ومنبعَ تلك الأسرار، بل كل ما قلت فهو من ربي الذي هو قريني، ومؤيدي الذي هو معي في كل حيني، الذي يطعمني ويسقيني، وإذا ضللت فهو يهديني، وإذا مرِضت فهو يشفيني. ما كسبتُ شيئًا من مُلَحِ الأدب ونوادره، ولكن جعلني الله غالبا على قادره. وهذه آية من ربي لقوم يعلمون، وإني أظهرتها وبيّنتها لعلّي أُجزى جزاء الشاكرين، ولا أُلــحَق بالذين لا يشكرون.

يـــا عينَ فيضِ الله والعــرفانِ   يَسعَى إليكَ الخَلقُ كالظَّمآنِ
يا بحرَ فضـــلِ المــنعِم المـنّانِ   تَهوِي إليك الزُّمْــرُ بالكِيزانِ
يا شمسَ مُلكِ الحــسن والإحسانِ   نــوَّرتَ وجهَ البَرِّ والعُمْرانِ

قومٌ رأوك وأمّــة قــد أُخبــرتْ | من ذلك البدرِ الذي أصباني
يــبكُون من ذِكر الجمال صبابةً | وتألّمًا من لوعــة الهِــجرانِ
وأَرى القلوبَ لدى الحناجرِ كُربةً | وأرى الغروبَ تُسيلها العينانِ
يا من غــدا في نــوره وضِيائــه | كالنّــيّــرَين ونــوَّر المَلَوانِ
يا بــدرَنا يــا آيةَ الرحــمنِ | أَهدَى الهُداة وأشجَعَ الشُّجعانِ
إنــي أرَى في وجهكَ الْمــتهلِّلِ | شأنًا يفوقُ شمائــلَ الإنسانِ
وقدِ اقتفاك أولو النُّهَى وبصدقِهم | وَدَعُوا تذكُّــرَ معهدِ الأوطانِ
قــد آثروك وفارَقوا أحــبابَهم | وتباعَدوا من حلقــةِ الإخوانِ
قد ودَّعوا أهواءَهم ونفوسَهــم | وتبرَّؤوا من كلِّ نَشْبٍ فــانِ
ظــهَرتْ عليهم بيِّناتُ رسولهم | فتَمزّقَ الأهواءُ كالأوثـــانِ
في وقت تَرويقِ اللّيالي نُـــوِّروا | واللهُ نجّاهم مــن الطـــوفانِ
قد هاضَهم ظلمُ الأناس وضَيمُهم | فــتَــثــبَّتوا بعِناية المــنّانِ
نَهَب اللِّــئامُ نشوبَهم وعَقارَهم | فتَهــلَّــلوا بجواهــر الفُرقانِ
كسَحوا بيوتَ نفوسِهم وتَبادَروا | لِتمتُّع الإيــقانِ والإيــمــانِ
قاموا بإقــدامِ الرسولِ بغَــزوهم | كالعاشق المشغوفِ في الميــدانِ
فدَمُ الرّجالِ لصدقِهم في حُبّهــم | تحتَ السيوف أُريقَ كالقربانِ

جاءوك منـــهوبين كالــعـــريانِ فستَرتَـــهم بِمَلاحِف الإيمانِ
صـــادَفــتَهم قومًا كرَوثٍ ذِلّــةً فجـــعلتَهم كسَبيكةِ العِقْيانِ
حتى انْـــثنَى بَـــرٌّ كمثل حديقةٍ عَذْبِ الموارِد مثمِرِ الأغصانِ
عادت بلادُ العُرْبِ نحوَ نضارةٍ بعد الوَجى والمَحْلِ والخسرانِ
كان الحـــجازُ مَغازِلَ الغِـــزلانِ فـــجعَـــلتَهم فانينَ في الرحمنِ
شيـــئانِ كان القومُ عُمْـــيًا فيهما حَسْوُ العُقارِ وكثرةُ النّسوانِ
أما النّساء فحُـــرِّمتْ إنكاحُـــها زوجًا له التّحريمُ في القـــرآنِ
وجعلتَ دَسْكَرَةَ المُـــدامِ مُخرَّبًا وأزلتَ حانتَها مـــن البلدانِ
كَمْ شاربٍ بالرَّشْفِ دَنًّا طافِحًا فجـــعلتَه في الدِّين كالنَّشْوانِ
كَمْ محدِثٍ مســتنطِقِ العِيدانِ قد صار منك محدَّث الرحمنِ
كَمْ مستهـــامٍ لِلرَّشوفِ تعشّـــقًا فجذَبتَه جَـــذْبًا إلى الفرقانِ
أحييتَ أمواتَ القرون بـــجَلوةٍ ماذا يماثلك بـــهـــذا الشّانِ
ترَكوا الغَبوقَ وبدَّلوا من ذوقـــه ذوقَ الدّعاءِ بليلةِ الأحـــزانِ
كانوا بِـــرَنّاتِ الــمَثاني قبلَـــها قد أُحصروا في شُحِّها كَالعاني
قـــد كان مَرتَعُهم أغاني دائـــمًا طورًا بِغِيدٍ تارةً بـــدِنـــانِ
ما كان فكرٌ غيـــرَ فكرِ غَواني أو شُربِ راحٍ أو خيالِ جِفانِ

كانوا كمشغوفِ الفسادِ بجهلِـــهم   راضِـــين بالأوساخ والأدرانِ
عيبانِ كان شِعارَهم من جهلِهم   حُمْقُ الحمارِ ووَثْبةُ السِّرْحانِ
فطلَعتَ يا شمسَ الهدى نُصحًا لهم   لتُضيئَهم من وجهِك النّوراني
أُرسلتَ من رَبٍّ كريم محسِـــنٍ   في الفتنة الصَّمّاءِ والطُّغيـــانِ
يا لَلفـــتى ما حسـنُه وجمالُـــهُ   رَيّاه يُصبِي القـــلبَ كالرَّيحانِ
وجهُ المهَيمِنِ ظاهرٌ في وجهـــهِ   وشـــئونُه لـــمَعتْ بهذا الشّانِ
فلِذا يُحَبُّ ويستحِقُّ جمالُــــــهُ   شَغَفًا به من زمرةِ الأحـــدانِ
سُجُحٌ كريم باذِلٌ خِلُّ الـــتُّـــقى   خِرْقٌ وفاقَ طوائفَ الفتيـــانِ
فـــاق الـــورَى بكمالِه وجمالِهِ   وجلالِه وجَنانِـــه الرَّيّـــــانِ
لا شكّ أنّ **محمّدًا** خيرُ الـــوَرى   رَيْـــقُ الكرامِ ونخبةُ الأعيـــانِ
تـــمّتْ عليه صفاتُ كلِّ مَـــزِيّةٍ   خُـــتِمتْ به نَعْماءُ كلِّ زمانِ
واللهِ إن **محــــمــــدًا** كـــرَدافـــةٍ   وبهِ الوصولُ بِسُدّة السّلطانِ
هو فخرُ كلِّ مطهَّرٍ ومـــقـــدَّسٍ   وبه يُباهي العسكرُ الرّوحاني
هو خيرُ كلِّ مقـــرَّبٍ متقـــدِّمٍ   والفضلُ بالخيرات لا بزمانِ
والـــطَّلُّ قد يبدو أَمامَ الـــوابِلِ   فالطَّلُّ طَلٌّ ليـــس كالـــتَّهْتانِ
بطلٌ وحيدٌ لا تَطيشُ سِهامُـــــهُ   ذو مصمياتٍ مُوبِقُ الشّيطانِ

هــو جنّــةٌ إني أرى أثمــارَهُ وقُطوفَه قد ذُلِّلتْ لــجَــناني
ألفَيتُـــه بحرَ الحقائق والـــهــدى ورأيتُه كالدُّرِّ في اللَّمَــعــانِ
قد ماتَ عيسى مُطرِقًا ونبــيُّــنا حيٌّ، وربّي، إنهُ وافانــــي
واللهِ إني قد رأيتُ جمالَـــــهُ بعيــونِ جسمي قاعدًا بمكاني
ها إنْ تَظنَّــيتَ ابْنَ مريمَ عائشًا فعليك إثباتًا من الـــبرهانِ
أفأنت لاقَيتَ المسيحَ بيَقْــظــةٍ أو جاءك الأنباءُ مِـــن يَقْظانِ
اُنظُرْ إلى القرآن كيف يــبــيِّنُ أفأنت تُعرِض عن هدى الرحمنِ
فاعلَـــمْ بأن العيشَ ليس بثابتٍ بل مات عيسى مثلَ عبدٍ فانِ
ونبيُّنا حيٌّ وإني شـــــاهــــدٌ وقد اقْتطَفتُ قَطائفَ اللُّقيانِ
ورأيتُ في رَيعانِ عُمْري وجهَـــهُ ثم النبيُّ بيَقْظَـــتي لاقـــانِي
إني لقد أُحيِيتُ مِـــن إحــيائه واهًا لإعجازٍ فما أَحْـــياني!
يا رَبِّ صَلِّ على نبــيِّك دائـــمًا في هذه الـــدنيا وبعثٍ ثـــانِ
يا **سيِّدي** قد جئتُ بابَك لاهفًا والقومُ بالإكفـــارِ قد آذاني
يَفري سهامُك قلبَ كلِّ محاربٍ ويشُـــجُّ عَزْمُكَ هامةَ الثّعبانِ
للهِ دَرُّك يا إمـــامَ العـــالَـــمِ أنت السَّبوقُ وسيِّدُ الشّجعانِ
اُنظُرْ إليَّ برحمـــةٍ وتحــــنُّـــنٍ يا سيِّدي أنا أحقَـــرُ الغلمانِ

يا حِبٍّ إنك قد دخَلتَ محبّـــةً في مُهْجَتي ومَدارِكي وجَناني

مِن ذِكرِ وجهِك يا حديقةَ بَهجتي لَمْ أَخْلُ في لحـــظٍ ولا في آنِ

جسمي يطيرُ إليك مِن شوقٍ عَلا يا ليتَ كانت قوّةُ الطَّـــيَرانِ

القصيدة المبتكَرة المحبَّرة

التي خاطري أبو عُذْرِها، وقد أودعتُها أشعارًا تشفي صدورَ المتفكرين، وتروي أُوامَ الصّادين

بِمُطّــلِعٍ على أســرارِ بــالي بعــالِــمِ عَيبتي في كلّ حالي
بوجــهٍ قد رأى أعشارَ قلبــي بمــستمعٍ لِصَرْخي في اللّيالي
لقد أُرسلتُ مِن ربٍّ كــريمٍ رحيمٍ عند طوفان الضّــلالِ
وقد أُعطيتُ بــرهــانًا كرُمْحٍ وثقَّــفْناه تثــقيفَ العَــوالي
فلا تَقْفُ الظُّــنونَ بــغير عِلمٍ وخَفْ أخذَ المحاسِبِ ذي الجلالِ
ترى آياتِ صدقي ثم تنــسَى لَحاك اللهُ، ما لك لا تُبالــي
تَعالَ إلى الهــدى ذُلاًّ خضوعًا إلى ما تكتسي ثوبَ الــدَّلالِ
وإنْ ناضلتَني فــترى سهامِــي ومثلي لا يفــرُّ مــن النِّضالِ
سِهامي لا تَطيش بوقت حربٍ وسيفي لا يغادِر في القــتالِ
فــإنْ قاتلــتَني فــأريك أني مقيم في ميادين الـــــقِتالِ
أبــالإيذاءِ أتــرُك أمــرَ ربّي ومِثلي حين يؤذَى لا يبــالي
وكيف أخاف تهــديدَ الخُناثى وقد أُعطيتُ حالاتِ الرّجالِ

ألا إنـــي أقاومُ كـــلَّ ســـهمٍ وأَقلي الاكتـــنانَ عن النِّـــبالِ
فإنْ حـــربًا فحربٌ مثل نـــارٍ وإنْ سلمًا فسِـــلْمٌ كالـــزُّلالِ
وحربي بِالـــدّلائل لا السِّهامِ وقولي لَهْـــذَمٌ شاجُ القُـــذالِ
وفاقَ السيفَ نُطقي في الصِّقالِ قد اغْـــتلتُ المكـــفِّرَ كالغزالِ
و لم يَزَلِ اللّئامُ يـــكـــفِّـــروني إلى أنْ جاء نصرةُ ذي الجلالِ
وقد جادلتَنـــي ظلـــمًا وزورًا وجاوَزتَ الدِّيانةَ في الجِـــدالِ
ولو قـــبلَ الجدالِ سألتَ مـــني جُذِبتَ إلى الهدى قبلَ الوبالِ
لنـــا في نصرةِ الـــدِّينِ المـــتينِ مَساعٍ في التـــرقّي والـــكمالِ
هداني خالقي نَهجًا قـــويمًا وربّانـــي بـــأنواعِ النَّـــــوالِ
لقـــد أُعـــطيتُ أسرارَ السّرائرْ فسَلْ إن شئت من نوعِ السؤالِ
وقـــد غوَّصتُ في بحر الفَناءِ فعُدتُ وفي يدي أبهَى الـــلآلي
رأيتُ بفضل ربّي سُـــبْلَ ربّي وإن كانت أَدَقَّ من الـــهلالِ
وكَمْ ســـرٍّ أراني نـــورُ ربّي وآياتٍ على صـــدق المقالِ
وعِلـــمٍ يَبهَـــرَنَّ عقولَ نـــاس ورأيٍ قد علا قُنَنَ الجبـــالِ
سعيتُ وما وَنَيتُ بشوق ربّي إلى أَن جاءني رَيّا الوصـــالِ
وقـــد أُشرِبتُ كأسًا بعد كأسٍ إلى أن لاحَ لي نـــورُ الجمالِ

وقد أُعطيتُ ذوقًا بعــد ذوقٍ ونَعْماءَ المَحبّةِ والــــدَّلالِ
وجَــدتُ حياةَ قلبي بعد موتي وعادتْ دولتي بعدَ الــزّوالِ
لُفاظاتُ المَوائدِ كان أُكْــلِي وصِرتُ اليومَ مِطْعــامَ الأهالي
أزيد بفضـــله يومًا فــيــومًا وأُصلِي قلبَ منتظــرِ الوبالِ
ألا يا حاسدي خَفْ قهرَ ربّي وما آلُوك نُصحًا في المــقالِ
فلا تستكبِرَنَّ بفَورِ عُــجْــبٍ وكَمْ مِّن مُزدَهٍ صــيدُ النَّكالِ
أَلا يا خاطِبَ الدّنــيا الدّنِيّــهْ تَذكَّــرْ يومَ قُرْبِ الْارتحالِ
سهــامُ الموتِ تفجَأُ، يا عزِيزي ولو طالَ المَدَى في الْانتــقالِ
هداك اللهُ قد جادلتَ بغــضًا وما فكّــرتَ في قولي وقالي
وكَمْ أكفَرتَني كــــذبًا وزورًا وكَمْ كذَّبتَ مِن زَيغ الخيالِ
وإني قد أرى قد ضاع دِينُــكْ فقُــمْ وَارْبَــأْ به قبلَ الرِّحالِ
حــياتُك بالتــغافلِ نوعُ نومٍ وأيامُ المعــاصي كاللّــيالي
ولستُ بطالبِ الدُّنيا كَزعمِكْ وقــد طلَّــقتُــها بِالاِعتزالِ
ترَكْنا هذه الدّنيا لــــوجــهٍ وآثَــرْنا الجَمالَ على الجِمالِ
وإنكَ تزدري نُــطقي وقــولي ولو صادَفــتَه مــثلَ الــلآلي
فلا تنظُــرْ إلى زَحْفٍ فإنــي نظَــمتُ قصيــدتي بِالْارتجالِ

القصيدة

أُمِرتُ مِن الله الكريمِ الـــممجّدِ فقـــمتُ و لم أكسَلْ و لم أتبلّدِ
وهذا كتابي قد تلألأَ وجهُـــهُ تلألُؤَ سِمْطَي لؤلؤٍ وزَبَـــرْجَدِ
ترَى نـــورَ العرفان فيه كـــأنه أَياةُ ذُكاءٍ أو بـــريقُ العَسجدِ
وإنـــي أرى فيه الشفاءَ لطالب ويُشفَى به قلبُ السعيد ويهتدي
وأودعتُه أسرارَ علم وحكـــمة ورتّبـــتُه مثلَ الثـــقيفِ المسنّدِ
وكم مِن لآلي فيه مِن سرّ الهدى فيا صاحِ فَـــتِّشْها ولا تتجلّدِ
وقد بانَ وجهُ الحق فيه وضاحةً كخـــدٍّ نقيٍّ اللّونِ لم يتخدّدِ
وإنـــي من الله الكريم مـــجدِّدٌ ومنه مباراتي وسيفي وأَجْرَدي
ووالله إني من نـــخيل خـــميلة وحِبِّي ببستاني يروح ويغتدي
وقد خَـــصَّني ربّي وألقى رداءَه عليّ فما تَدرُون ما تحتَ بُرْجُدي
وقد ذُلِّلتْ نفسي بتوفيق خالقي فليس كمثلي فوقَ مَوْرٍ معبَّدِ
نما كلُّ علمٍ صالحٍ في قريـــحتي كأشجارِ مَولِـــيٍّ الأسرّة أَغْيَدِ
فجدّدتُ توحيدًا عفَـــتْ آثارُهُ وطهّرتُ أرضَ الدين من كل جَلْسَدِ

وقومي يعاديني غرورًا ونـــخوةً متى أَدنُ رحمًا يَنْأَ عنّي ويبعُدِ
يسبّ وما أدري على ما يسبّني أيُكفَرُ من يُعلي لواءَ محمدٍ (ﷺ)
يزاحمني مِن كلّ باب فـــتحتُها لنصرِ رسول الله حِبّي وسيّدي
وقد أكفروني قبلَ كشفِ حجابهم ويعلم ربِّي صدق قولي ومقصدي
ورُبَّ ولـــيٍّ الله برٌّ مقـــرَّبٌ يُرَى في عيون الحاسدين كمُلحِدِ
وأيقظتُهم رحمًا عليهم وشفقةً ولكنّهم أعـــداءُ كلِّ مسهِّـــدِ
ولستُ بتارك أمر ربي مـــخافةً ولو قـــتّلوني بالحسام المجرَّدِ
وكيف أخاف نهيقَ قومٍ مـــفنَّدٍ مثيل عُواءِ الذئب بل صوت جُدْجُدِ
وكيف يؤثّر حجّتي في نفوسهم ولا حَظَّ مِن سرّ الهدى لِضَفَنْدَدِ
تبـــينتِ الآياتُ حقًّا فمـــا رأوا وصالُوا وخالوني على غير مرصدِ
وإني أَبَنْتُ لهم دلائل مقصـــدي وليس لهم أدنى الدلائل في اليدِ
وقد استتروا كالطير في وُكناها لما عجزوا مِن قِبل عَضْبٍ محدَّدِ
فما قاوموني في مصافٍ وما اهتدوا فقلنا اخْسَئُوا لا خوفَ منكم لمهتدي
وكيف أعالج قلبَ وجهٍ مسوَّدٍ غبيٍّ شقيٍّ في البطالة ★ مفسدِ

★ هذا لفظ ذو معنيين: المعنى الأول فظاهر، والمعنى الثاني فهو إشارة إلى بلـــدة اسمه "بتاله"، ويسكن فيها فتّان مفسد اسمه شيخ محمد حسين، وإليه أشرت في هذه القصائد التي اقتضبتُها، ورسالتي التي كتبتها. وهذا

ويعلون دِعْصَ الرمل هربًا وكلّهم كرَبْرَبِ ثورِ الوحش يخشون **جَدْجَدي**
وقلت لهم يا قوم خَفْ قهرَ قادرٍ وأَقْصِرْ ومَهْلاً بعضَ هذا التشددِ
فمـــا تركوا أوزارَ شرٍّ وفتـــنةٍ وما خافـــوا نيرانَ يـــومٍ مُبدِّدِ

امرءٌ مفلس لم يُرضَع ثديَ الأدب و لم يُرزَق من العلوم النُّخَب، وهو من الذيـــن يؤثرون الثرائدَ ويَدَعون الفرايد، ومع ذلك هو عدو الحق خبيث الأنفـــاس دنِيءُ الـــنُّحاس. أصلَتَ لسانَه على العَضْب الجرّاز والفاس، وكشّـــر عـــن أنيابه كالذياب عند الافتراس، وإنه صفر اليد من العلوم وأُزْمُـــول كـــناس الوسواس وزاملته الخنّاسُ. سردتُ على كتابي فأبى، ودنـــوتُ تـــرحمًا فـــتحامى. فتاقت نفسي الآن إلى أن أفضّ ختمَ سرِّه الأخفى، ليعلم الناس أن الحق مبين والشيخ شُيَيْطِينٌ. منه